أكبر ملف للقصة المغربية القصيرة

الف ياء

يقصّون عليك.. أحسن القصص

ثلة مبدعين من كتاب القصة القصيرة المغربية اعتباراً من يوم الاثنين الرابع من آذار (مارس) المقبل على صفحات (الف ياء) الزمان

من ملف القصة القصيرة في المغرب (17)

حرب استنزافية

الطاهر لكنيزي
قاص من المغرب

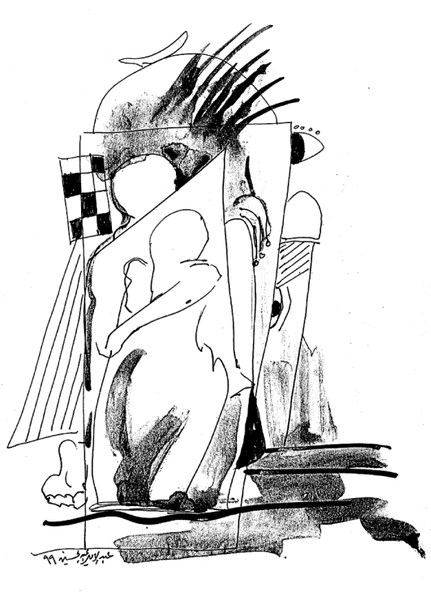

لم يُحلّقْ به شوقُ التّحصيل وشَغَفُ الدّراسة حتى تُخومِ الصّين أوْ رُبوعِ السّاحة الحمْراء. لم تحنّ عصافيرُ تعطّشه للنّجاحِ الاجتماعي إلى شوارع "مونريال" أو أسواقِ "طورينو"؛ بل عاجتْ يَمامةُ طموحه، بعْدَ أن اسْتحقّ التأشيرةَ بفضْلِ شهادته، على ضفاف "السّين" قبل أن تحُطّ في عاصمةِ الجنّ والملائكة، منبع النّورِ، والعُطور، والخُمور..

مرّتْ أمواهٌ كثيرة تحْت جسْرِ "ميرابو" قبل أن تَهزَّ ريحُ المدنيّة السّجْواء دوحةَ أفكاره الضّارِبة جذورها في تربة جُبلت سَحْنتُه من سُمْرتها، وفُطرتْ طباعُه من تقاليد خُتمتْ بطابَع السّلَف الصّالِح. بدَتْ لهُ بَعْضُ عاداته و تقاليده نشازاً في مُجْتمَعٍ يُغيّرُ أنْماطَ تفْكيرِه وطُرُقَ عَيْشه مثلما يُغيّرُ شكْلَ ملابسِه و شَعْرِه. انْدَمَجَ، على مَضَضٍ في سَيْرورةِ التغييرِ والتطوّر.

بعدَ سَنوات من الغُربة، عادَ بِدِبْلوم خَوّل له منْصبا مُتميّزا. أصْبَحَ يَتَحاشى المُكوثَ طويلاً بين والدَيْه. كُلّما اجْتَمَعوا حَوْلَ المْائدَة كَرّرَ أحَدُهُما نَفسَ اللازمَة المْبتورةَ السّاقين، والتي لا تَمْشي حَتّى بعُكّازَتين: "متى تنوي، إن شاء الله؟" خَشيَ أنْ يَقْضيا و هُما غاضبَين علَيه، لأنّهُما ما زَالا يَنْتَظران بشَغَف أنَ يَمنَحَهُما أحفاداً يخلّدون ذكرهم في هذه الدنيا الفانية. وَقَفَ لحَظات وَقْفَةَ من يُوَدّعُ عَزيزاً كأنّهُ لَن يَراهُ أبَداً. يسترجعُ ذكْريات حياةَ العُزوبيّة التي ألِفَها واستَأنَسَ بها. يتأمّلُ فُصولَها

المُؤثّثة بالفَوْضى والمُفاجآت، والمتحلّلة من الالتزامات العائلية.

انطمَسَت في شَريط ذكرياته الضبابيّة كُلُّ صُوَرِ الفتيات، والنّساء اللّواتي عَرَفَهُنّ في لقاءات حَميمَة أو عابرَة إلاّ صورة بنْت "الخَبّازَة" جارتهم. كانت أمّهُ كلما أغضبَتها ابْنتُها البكْر، صبّتْ علَيها مضَخّةَ غَيظها، وطَفقتْ تُعَدّدُ شمائل فاطمة. كانت في نَظرها نَموذج البَنت المُطيعَة والمرأة المثالية، التي تنافسُ الشّباب من أقرانها حتّى في وقاحتهم. لقد حَفَرَتْ أمّه بإزميلِ غبطَتَها التي تَحولَت إلى حَسَد، وبون قَصْد، اسْمَ ورسْم ابنة الجيرانِ في ذاكرته.

لفاطمة جَسَدٌ مَركوسٌ من رُخامٍ مَرمَريّ يُشْبه عَجين القَمْح البَلَدي. يَسيلُ دفْؤهُ كَخبزِ أُمّها الذي تتسلّل رائحتُه من تحت الأبواب، وعبر المنافذ عندما تُخرِجُه من الفُرْنِ في فَصلٍ يَعزُّ فيه الخبْز وتحنّ فيه الأضراس لِطَحنِ أيّ شَيء حتّى الحَجَر.

لم تَعْرف المدرسةَ إلاّ عنْ بُعْد؛ ولَم تَحُمْ حوْلَها إلاّ عندما تَلَبّسَتْها حُمّى المُراهَقَة المبكّرة. هامتْ تَنشُد بحَذَرٍ كأساً قد تُطْفئُ غُلّة أُنوثتها التي برْعمت، وقَد تُؤَجّجها.. تَدْفَع بشُوَيهاتها نحْو المدْرسة. تَتَعَمَّد ترْك إحْداها تَلَجُ حديقَة أو ساحةَ المدرسة، لَعَلّ أحَدَ الأساتذة يَنتَبه إلى كَنزها المَرصود في بطْنِ هذا الوادي المُحنّط بالرّمال، والمَلْفوف في عباءَة الأعْراف والتّقاليد، فَيُلَمّح لَها أو يُكلّمها أو يسبُّها حتّى، والباقي تُتمّه العرّافة بوصَفاتها العَجيبة.

زَفّتْ إليها أُمُّها بُشرى عزْمِ جيرانهم على خطبَتها لابْنهم المُهندس العائد من الخارِج. أجهشَت بالبكاء حَدّ الضَّحك الهستيريِّ. ألَم تُصَدّقْها؟ نَشيجٌ أم قَهقَهَةٌ أم هُما مَعاً؟ ألا يَجِبُ أن تُرَدَّ على عَبَث الأقدار بهذا الفعل الخُلاسيّ؟ كم مَرّة تَكونُ مَتَربِّعَةً على خَميلَة الفَرحِ الباسِق، تُهدهدها أراجيح الوعود المخمليّة، ويَكفي أن تمُدَّ يدَها لتَقطف ما لَذَ وطابَ من ثمارِها اليانعة، فإذا بصاعقَة النَّحس تَحْرِق حبال الوَهْم حَتّى يختلطَ لَدَيْها، مَن شدّة الرّجفَة، الواقع بالحُلم.. ومرّات أُخرى، يُطْبقَ عَلَيها نَفَقٌ مُظلم، كَفأرٍ في مَصيدَة، يُواجه حَتفَهُ المحْتوم بوَعْي؛ فإذا بشلاّلات النّور تَتَدفّق منَ الآفاق، تنيرُ لها مَسارِبَ الحْياة المعتمة، فتنطلق بثقة كأنّها تَتجول في أركانِ المطبخِ الذي سَكنتْ أعطافَها روائحُه. لَمْ تَستفِق من سَكْرة الأحْداث التي تَوالتْ كَلَقطات فلْمٍ برازيلي، إلاّ في بَيت تَعَدّدتْ غُرَفُه وتَنَوّعَتْ أفْرِشَتُه، وجُهّزَ بأثاث وآلات لَم تَر مِثلها قَطُّ، ولا تَعرِف كَيفيَةَ استعمالها ولا أسماءها حتّى.

أحَبّها واحتَرمها وأجلَسها في مَقعد قيادَةِ حياتهم الزّوجيّة،لأنّ أمّه خَتمتْ لَها مُسبّقاً على رخصَة السياقة. لم يُحَذّرها من المُنعَطفات المُزدوجة (الشك، والخيانة) ومُنحَدرات الحوارات السّاقطة، وضَبابِ الكبْرياء، وشتاء النّشوز، وأُفولِ نُجومِ الودّ، وشُروقِ شمْس الرّتابة.. إنّه من الذين يُؤمنون بأنّ المرأةَ تَسْتَطيع أن تأتي بما لَم يَأتِ به الرّجُل: نساء كثيرات غيّرن مَجرى الأحداث، والتاريخ حافل بأسمائهن.. ألَيسَ وراء كُلِّ عظيمٍ امرَأَةٌ؟ سيحقّق معها ما ظل يحلم به..

وجَدتْ نفسَها كضفدعة شَبّتْ في مسْتنقع ضَحلَ وأسنَ ماؤه، فنُقلتْ فجأة إلى مسبَحٍ مترقرق الماء، مُبلّط بالمرمَر؛ أو كَعُصفورٍ وُلدَ وتَرعرَعَ في قَفَصٍ لَم تَسمَح لَهُ مساحَتُهُ باستعمالِ جَناحَيه، فَنَسيَ الحكمَةَ من وُجودهما. في لحَظَة ارتكانها إلى حَياتها الرّتيبة والخَاليّة من الالتزامات فُتحَ القَفَصُ الذّهَبِيّ على مصْراعَيْه. كانت شبْه خادمة، فأَضحَتْ بيْنَ عشيّة وضُحاها أميرة مَخْدومةً. استقْبَلَها فَضاءٌ لا أبْعاد له ولا مَعالم، فَوَقَفتْ تنتَظر أن تُؤمَرَ لتقومَ بقَفزَة أو زَفّة. افتقَدتْ أفْعالَ الأمرِ والنّهي. كُلّما خَطَت، زَلّتْ فَكَبَتْ. وكَم سَقْطَة اهتَزّت لوقْعها أركانُ بَيتِ الزّوجية حتّى كاد سَقفُهُ أن يَنهَدَّ على رأسَيهما؛ لكنّهُ كان يظَلّ واجماً يَتَأمّلُها كأُمٍّ تُراقبُ طفلَها المُتعثّرِ بينَ المَشيِ والحَبو، في غَمرَة الخُطوات الأولى، عندما يَتَذوّقُ لَذّةَ تَجاوُزِ نَفسه. لَذّة مَمذوقَة بالألمِ من أثرِ السُّقوط .استرجَعَتْ بَعدَ لأيٍ وظيفَةَ جناحَيها؛ بيدَ أنَّ تَحليقَها لم يَكُن إلاّ حَوما مُحتَشماً حولَ العُشّ. لَقد وُئدَتْ فيها روحُ المُبادرَة، وجفّفتْ أزاهيرَ فُضولها شَمسُ الاضْطهاد. (لكُلِّ داخلٍ دَهشَةٌ)؛ لكنَّ دَهشَتَها طالَت حَدّ التّيه. البَونُ شَاسعٌ بيْن تَصَوّره لبيْتَ الزّوجيّة، وتصَرّفاتها. يُريدُها أنَ تُشاطِره هواجسَه، وأحلامَه، وإنجازاته في عمَله؛ تلْقاه وتُودّعه بعبارات لطيفة، تُخفّف عنه العناء والإجْهاد، وتزرع فيه اليقَظة والتّحمّس، بيد أنها تُغْرقه في أخْبار الحيّ التّافهة. لم يتدرّج سلوكُها نحو التّغيير ولو قيد أنمُلة، فحاول التّعايش معها كما يتعايشُ المريضُ مع علّة مُزْمنة.

هزّهاَ الحَنينُ إلى السّباحة في الماء العكرِ، فأطلقَت العْنانَ لخُيولِ فطرَتها التي وُئدتْ حَمحَماتُها في إسطَبَل جُدرانُهُ "احْشومَة" و"عيَب" و"عار" و"حرام". بأظافرِ أفعالِها الممجوجَةِ بَدأت تَخدشُ صُبح بَهجَته. بكَلمات كالحَة قَصَّبتْها من مُعْجمها البَدويِّ، طَفَقَت تُلطّخُ صَفْحَة كرامَته. تُهينُ رُجولَتَه بألفاظ من قاموسها الفَضّ و المْشحونِ باستعارات القَدْحِ والتّجْريح. تَحلّج عهْنَ سَماحَته المْنفوش بعَوسج تَعَنّتها..

وهُما يُغيّران ملابسَهُما استْعْداداً للنّوْم ذاتَ لَيْلَة مَطيرة، أقْحَمَتْهُ في جِدال عَقيمٍ لمْ تَكُنْ لَهُ رَغْبةٌ في طَرْقِ مَسالكه التي يَعْلَمُ عَنْ تَجْربَة، أنّها سَتُفْضي به إلى قَدَمِ الحائط .

ضَربَتْ على وتَرٍ آخرَ من أحاسيسه، لمْ تُجَرّبْهُ من قَبْل. أشاحَ عَنْها بوَجهه وتَوجّهَ نحْو مكتبه، فَجَذبَتْه من ياقته حتّى أصبحا وجْهاً لوجه وهوتْ عَليه بصفْعَة منْ عيار اللّطَمات التي طالمَا تَلَقّتْها حتّى انتَثَرَ منْ شِدّتها، مُخاطُها، وتشَعّثَ شَعْرُها الذي تعْتَبره تاجَ جَمالها. تَرَكَتْ خناقَهُ و تَراجَعَتْ إلى الخَلْف مُتَهَيّبَةً أنْ يَرُدَّ على الصّفْعَة بأحَرّ منْها، غَيْرَ أنّهُ خَيّبَ أُفُقَ انْتظارها. حَدّقَ فيها مَلياً كأنّهُ يقولُ لَها: "أأنْت،أنْت" وبصوتٍ مُتَرَقْرق كَنَهرٍ أدركَ السّهْلَ، حَذّرها أنْ تَفْعَلَ ذلك أمامَ الآخرين. أشْعَلَتْ كَلماتُهُ نيرانَ الحُنْقِ في فُؤادها المَشْحون ببنْزينِ الكراهية. لَمْ تُطْفئْ جمارَ غَضَبها غيرُ بَصْقَة تناثرَ رَذاذُها على صَفْحَة مُحيّاه الهادئ كَبِركَة بفَصْل الرّبيع، ودَمْدَمَتْ : "اتْفو عْلَى راجَل!" و هو يمسح ثُفْلها عن وجهه، تأسّف بمرارة لجهل أمّه، التي هي امرأة، بعقليات النّساء (وحروبهن الاستنزافية).

نَشَزَتْ عَنْهُ، فكانَ ذلكَ أرْحَمَ لَهُ. هَلْ كانَتْ تَنْتَقمُ في شَخْصه من الرّجُلِ الذي عاشَتْ في كَنَفه، تَرْسُفُ في أغْلالِ الذّلّ والخُنوعِ حتّى أصبحَ الامْتثالُ دينَها ودَيْدَنَها؟ أم من الذي حَرقَ قَلْبَها التّولّهُ به، وجَعلَتْ بهيامها به، أقْرانَهُ أعداءً لهُ، فَما أحَسّ يَوْماً بوُجودها ولا الْتَفتَ إلى أُنوثَتها الطّافحَة فتْنَةً؟ أم من الذي لَمْ يَطُفْ على كَرْمَة عُذْريتها إلاّ ليَقْطفَ ما نَضجَ منْ أعْنابها ويَتْركَ الفجّةَ لثعالبَ أُخْرى..؟

تَعَدّدتْ صُوَيْحباتُها، وتَكرّرَتْ خَرَجاتُها، وكثيراً ما عادَ من العَمَلِ ولَمْ يَجدْها؛ وحتّى إذا رَجَعَتْ متأخّرة لَمْ يَسْألْها أيْنَ ومعَ من كانَتْ. من خام قُبْحٍ مُتَغَلْغل في مَناجم خِزْيها، صَنَعَتْ فأساً تَرْدُم بها أحلامَهُما وتَهْدمُ أفْراحَهُما. استَغَلّتْ لحَظات نَشْوَته بإنْجازاته المُتألّقَة في عَمَلِه، فخانَتْهُ مَرّةً، فمرّات.. لَمْ يَفْطن لَها، أَو رُبّما فَطنَ، ولَمْ يُحرّكْ ذلكَ ولَوْ أهْيَفَ سَعَفَة من نَخيل نَخْوَته (العُروبيّة)، مثلما سكت عنْها ليلةَ الدّخول بها عندما اكتشفَ أنّها ثَيّبٌ. أشارتْ إلَيْها الأصابعُ، ولاكَتْ عِرضَها الألْسُنُ في الحمّامِ والمقاهي وعِنْدَ البَقّال..

كَمْ باتَتْ تَتَقَلّبُ على جَمْرِ الهِجْرانِ مُنْتَظرَةً أنْ تَحْمِلَهُ رياحُ الشّوْق إلَيْها فَيُصالحَها كما فَعَلَ مراراً؛ لكنّهُ كانَ يَنْخرطُ في البَحْث والكتابة حتّى وقْت مُتأخّرٍ من الليل. وإذا خَلَدَ إلى النُّعاس نامَ نَوْماً عَميقاً، فَزادها ذلك حُنْقاً عَلَيْه وازْدراءً لَهُ. كانَ السُّهادُ يَتْرعُها حَدّ الاخْتناق، فَتَنْفَجرُ لشَخيره وتَتَقيّأُ عليه غلَّها المَشْحونَ بالاحْتقار. يَتلقّى سبابَها بصَمْتٍ أبْيضَ و باردٍ كَصقيعِ البلاد التي أُعيدَ فيها تكوينُ نَفسيَته، فَيَعلو صُراخُها.. تَصكُّ دُرَفَ الأبوابِ والنّوافذ. تُكسّرُ بَعْضَ الأواني. تجْذبُه. تَدْفَعُهُ. تلْطمُهُ. تَشُدّه من ذقْنه وتُحدّقُ في عَيْنَيْه بعَيْنَيْن تشعّانِ يأساً وإحْباطاً يَتَسَلّلُ ألمُهما عبْرَ مسامّه. يُشيحُ عنْها بوَجْهه. لطالمَا قضَتْ بصُراخها المسْعورِ مَضاجعَ الجْيرانِ، فدَمْدَمَ أحَدُهمْ وهو يَدُسُّ رَأسَهُ تَحْتَ الوِسادَة : "أما آنَ لها أن تكُفّ عَنِ النُّباح؟"

عادَ متأخرا مُرْهقا بعْد عمل مُضْنٍ. اسْتغلّتْ لحْظَة تناوُله العَشاءَ، ففاتَحتهُ في مَوضوعِ الإنجاب. ترك المائدة وتَوجّه إلى غُرْفة النّوم. اسْتفزّتها حركَته، فصرختْ بصوْتِ آمرٍ أن ارجعْ . لم يلتفت. تركها وذَهب إلى غرفة أخرى. تَبعتْه مُعْولة وهي ترميه بالأحذية. دار نحوها، فتبدّى لها غير الذي كانت تعرفه. رأتْهُ يطبق على عُنقها بيدَيْن مُتَشنّجتَيْن قُدّتا من حَسْرَة، ونَدمٍ، و مَقْت، و يضغطُ كلبُوّة بنواجذها على عُنقِ الطّريدة، بثقْلِ كل اليأس الذي خَنَقَهُ، وهو يَصْرُخ: "كفى، كفى.." حتّى أخْرسَها.

لكنّه لم يفعلْ، بل رأتْه يدير رأسَه يمينا ويسارا، و تدحرجتْ من بين شفتيه كما تنحدر حجرات من قنّة جبل، كلمات لم تفهمها:"Non, non, nonÅ!Il faut que ça changeÅ!Tu es répudiée, divorcée, tu "comprends?

المعطف والزجاجة

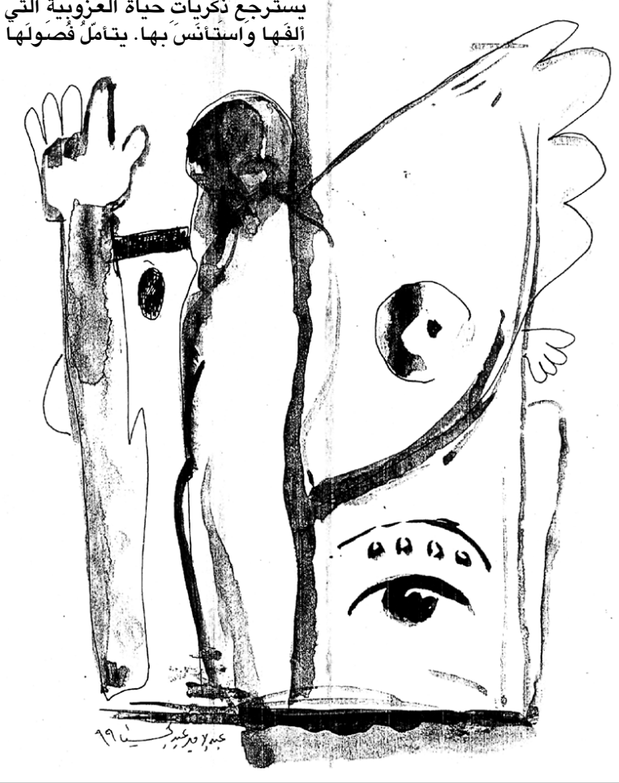

عبد السميع بنصابر
قاص من المغرب

هبّت ريح خفيفة لعبتْ بطرف معطفي وراقصت شعرها الناعم حتى لامس وجهي، فحضنتها تحت المعطف ونحن نسير معا على الرصيف المبلط الذي عكس أنوار أعمدة الشارع. همست من تحت معطفي:

- إن لم تتزوجني سأنتحر.

أطللت عليها بأنفاسي من فتحة المعطف، ثم طوقتها بحرارة. أسكرتني معزوفة الليل فوجدتني أعقب:

- سأنتحر قبل أن أتزوج غيرك.

سيري يا أيام وجيئي يا أيام، وتزوجي يا خائنة بشرطي وانفخي كرشك معه مرتين. الخبيثة.. لم تنتحر كما قالت! وتنتحر من أجل ماذا؟

لك الآن أن تمضغي العلك وتفرقعيه بصوت عال وأنت تثرثرين أمام باب منزلك مع جاراتك اللائي يشبهنك في كل شيء تقريبا.

لك أن تنادي ـ أمامهن ـ على ابنك الأصغر الذي خرج ليلعب دون إذنك:

ـ حمييييد!

هاهو حميد يا سيدتي أمامك. بُس أحميد ماماك! وامسحي أنت على رأس حميد بيدك وقولي أمام جاراتك إنه يعشق لعبة الشرطي والسارق. وسيري أنت يا جارتها معها في الخط ـ بلا حشمة ولا حياء ـ قائلة:

ـ كأنه سيدي أحمد ـ زوجك ـ يا سبحان الله! غير هو صافي.. الله يخليه لك!

وتدخلي يا جارتها الثانية، وثمني ما قالت الأولى.. وهُز سي أحمد.. وحُطّ سي أحمد، وهذا.. وكذا.. وبلاتي...

فرحة الآن؟

يا للسخرية! كل من سرق منه شيء استنجد بشرطي ليسترد ما سرق منه إلا أنا. أنا سرقني الشرطي نفسه. هل يعلم ابنك حميد هذا يا ترى؟.. قلت لا يضيرني أن تركلي ميكانيكيا مثلي لتعانقي رجل أمن، بقدر ما يغيظني الوقت الذي مثلنا فيه أردأ مسرحية ذات غباء منا. هل أعجبتك قبعته الزرقاء التي يمر من وسطها الشريط الأبيض؟ ربما بذلته ذكرتك يومئذ بالأفلام الأمريكية التي كنت تشاهدينها على الشاشة الكبيرة على حسابي طبعا..

وعصير الليمون الذي كنت تسكبينه في بطنك كل مساء؟؟

ومصروف الحافلة؟؟

و..

ودوري يا عجلة الزمان دوري. وانسجي يا عناكب خيوطك حول الذكريات انسجي. وحاول في كل مرة أن تستلقي على سرير الوحدة. كنت تطلب الموت فلا يسمعك. لا تجد غير الحزن وهو يتربص بالسرير من كل جانب. يسحبك من أطرافك ويرفعك إلى الأعالي، فتلفي نفسك كالأعمى وسط الضباب. لا ترى شيئا. لكنك تتبين إلى حد ما قهقهات مرعبة وهي تنهش كيانك... ويتواطأ القدر ومعه الأشياء، حتى يلقى بك من جديد من فوق السحاب إلى نفس الشارع الطويل، لتجد خطواتك تتيه على رصيفه مرة أخرى.

هبت الريح الخفيفة ولعبت بطرف معطفك الجديد مرة أخرى. لكنها لم تجد الشعر الناعم لتراقصه، فاستدارت باكية..

هل يعلم حبيبها أنها كانت هنا قبل سنين؟

قالت أعمدة النور:

ـ كان يا ما كان...

وأنت يا رصيف، ألم تغازل حذاءها؟

ـ ...

تلاحق خطواتك وخيبتك تلاحقك. تحت المعطف الجديد كنت وحيدا. قالت لوحة الحانة التي تألق ضوؤها في ليل كئيب:

ـ بالحضن..

قال معطفك الجديد:

ـ لنجرب..!

توقفت هنيهة. أطللت على المكان. كان ساكنا كالمقبرة. تسلل المعطف من فوق ظهرك، ثم جلس على كرسي مقابل لك. غمزك بعينه ثم دعا إليكما زجاجة.

قالت الزجاجة:

ـ طلباتكما..

التفت المعطف إليك مستأذنا:

ـ ما رأيك في سماع حكاية " عندما يسرق الشرطي "..؟

أومأت إليه موافقا.

قالت الكأس الأولى:

ـ كان يا ما كان...

وقالت الكأس الثانية:

ـ ريح خفيفة، وشعر ناعم وشارع طويل...

ثم توالت الكؤوس...

من ملف القصة القصيرة في المغرب

حدائق الأرقام

مصطفى الحسناوي
قاص من المغرب

المكان شبيه بمرآب فسيح، بسقف واطئ ونوافذ صغيرة شبيهة بكوى مفتوحة على ضوء النهار وصخب الشارع. الطاولات متناثرة هنا وهناك مثل أطياف أعياها الحلم، تنتظر ما تني تنتظر في فراغ الليالي، وصمت الحواس كل صباح قدوم الأجساد التي ستجلس إليها، المرافق والأيادي التي ستستند إليها، الوجوه، الملامح، الرغبات، الكلمات التي ستندلق فوق سطحها المليء بالحفر. الأجساد الأولى التي امتشقت عاداتها الآيلة للإنقراض بدأت تلج المكان، ترتجل خطواتها الأولى داخله. بلاط المرآب مكسو بزليج حائل اللون، فقدت الكثير من مربعاته سوادها.. يبدو البلاط شبيها برقعة شطرنج هائلة.. فوقها تنلعب المصائر، تسيح المتع، وتسيل الرغبات،.. فوقها يقفز مجانين كثر في اتجاهات حروف L غير منتظمة متداغلة ومتقاطعة. تسقط البيادق صرعى الواحد تلو الآخر. تدك حصون، ويبقى الملك وحيدا بلا حراس.. المكان الآن ضاج بالحركة. أجساد تلج الحلبة وأخرى تغادرها. آخرون يجلسون صامتين منعزلين يمخرون براري العزلة، كأنهم آخر الرحل المهزومين. النادل البدين ذو العينين الزائغتين الشبيهتين بعيني جان- بول سارتر، يتحرك بعنت وسط الطاولات، ينصت للطلبات، ويضع تباعا القناني الخضراء الصغيرة التي تتراكم فوق أسطح الطاولات. بعضها فارغ، أفرغ توا من روحه، والبعض الآخر طاعن في متعة سائلة.. بالكاد ترتفع بين الفينة والأخرى أصوات الزبناء المتحلقين فرادى أو جماعات حول تلك الأوراق الصغيرة المليئة بالأسماء والأرقام.. يركضون فيما يشبه الإستيهام اليقظ خلف خيول الحظ، ماوراء البحر تركض الأفراس. لا أحد يدري أين ستقف أرقام الحظ.. الزبناء يبدون شبه مخطوفين بيانصيب كوني. هنا ينسفح دم الوجود. ستكون وحيدا كآخر الليل وستحلم بالأفراس والخيول وهي تركض في أسراب متوحشة في براري شاسعة. رفعت يدي بشارة النصر فتوقف النادل قرب طاولتي حاملا قنينتين افتضهما. وضعهما أمامي، وهو يتمعن في ملامح وجهي بنظراته الماكرة. مؤكد أن النظارات السوداء التي تخفي عيني تخلفان لديه التباسا. فوق الزجاج الأخضر الصقيل تتدحرج قطرات الندى. أنا لم أختبر الحظ يوما، لذا لم أركض يوما خلف الخيول. أكتفي بالتفرج عليها في أفلام جون فورد وهوارد هاوكس وهي تركض في مطاردات هلامية. ثم لا شيء، أفرغ القناني، أرى الركض خلف الأحلام، أرى أسراب الحالمين في صحارى الواقع.. تتعلق العيون في شاشة البلازما الفسيحة المعلقة مباشرة أسفل السقف. الفرسان يحثون الخيول على التقدم إلى الأمام. الأرقام تنتشر تباعا كوباء غامض. رقم يمحو رقما آخر. يلج الفرسان خط النهاية، وينتهي كل شيء. البعض يضرب بقبضة يده على الطاولة ويشتم عدوا ما، البعض الآخر ينكمش على نفسه ويشعل سجائره كأنه يولم دخانها أرتال اللعنة التي تطارده، فيما يكتفي آخرون بإفراغ قنانيهم واللوذ بالصمت.. الأشياء تتهاوى. النادل البدين ينزلق كبطريق بين الطاولات، تزهق أرواح قناني كثيرة. تتعالى أصوات المراهنين على ركض غامض، تنرسم على ملامح البعض علامات الأسف والغضب.. مجرد رقم لتنهمر أمطار الملايين من سماواتهم الخفيضة، الهاجعة أسفل الحوافر.. أمي تقول بأنها لا تعرف سوى سوء الحظ الذي تركها هنا سادرة في العزلة، رابضة وسط سهب حجري تحفر تضاريسه العقارب والأفاعي." لا أدري لماذا لم يزرني الحظ ولو مرة واحدة في حياتي المليئة بالمتاعب"، تقول هامسة لنفسها. كثيرا ما كررت على مسامعي نصيحتها بضرورة الحذر من غواية الحظ. أرفع يدي مرة أخرى بشارة النصر، كأنني زعيم في مهرجان سوريالي. المرآب يبدو كما لو كان مليئا بقطع متلاشيات. أحد الزبناء ينتفض من مكانه، يقوم محتجا بعدما عثر تحت الطاولة على نصف جرذ ميت. علق آخر بأن الكل يشرب البيرة في مجاري مياه. النادل البدين ينظر للآخرين شزرا والشرر يكاد يندلق من عينيه. الخيول ما زالت تركض في التلفزة والأرقام تتساقط، تنرسم، تنفلش. يوما ما، أقول لنفسي، ستحترق كل الأرقام في جحيم اللانهائي، ولن تبقى هناك غير الرغبات. رغبات عارية يحفها زغب أملس ندي، تستلقي كل رغبة على سرير النسيان وتنمنح لهوس الرعشة، والكل من الكوى الصغيرة الشبيهة بنوافذ زنازين واقف يتلصص على عريها والزوال يندلق من قبيها. يوما ما. في إحدى زوايا المرآب، كان الجابي جالسا خلف سياج حديدي، يستخلص الأموال ويمنح مقابلها أوراقا صغيرة سابحة في أرقام الحظ.. أقوم وأفرغ مثانتي في المرحاض الآسن المتسخ. رائحته النتنة تفغم خياشيمي. لماذا نشرب في هذه الأمكنة الشبيهة بإسطبلات. أمي تقول بأن الركض خلف الحظ يقود إلى الكوارث. أحيانا توغل في صمتها الغاضب، تلبس قناعا عديم الملامح وتلعن كل أسباب الوجود. تقول بأن البقاء وسط هذا السهب الحجري العاري والقاسي هو نصيبها ولعنتها. تقول: لماذا استسلمت لغواية القناني كما فعل أبوك؟. تقول بأنه كان يغيب أياما ثم يعود معدما بعدما أن ينفق كل أمواله على الشرب والعاهرات. أنظر لصور الشاب الجميل بالأبيض والأسود المعلقة على حائط الغرفة. تقول أمي بأنه كان يعتني بأناقته، يحرص على حلق ذقنه والتنضح بالعطور، ولبس البذلة العصرية، والذهاب إلى الأماكن التي يرتادها أوربيون. كان ذلك في زمن مضى قبل أن يقرر أواخر السبعينات العودة إلى السهب الحجري الذي تحرقه الشمس صيفا، تجرف تربته وأحجاره الأمطار شتاء. تحرس عزلاته العقارب والأفاعي حين يجن الليل. أمي تقول بأنها أحيانا ترى طيف أبي واقفا قرب مثابة البئر التي تتوسط الحوش الواسع المكشوف وهو يحلق ذقنه وجمجمته، مترنما بأغاني أوربية. كان يعشق أغاني إديث بياف ويتحدث بشغف عنها وعن مارسيل سيردان. كان ذلك إبان الإقامة في المدينة- الغول قبل أن يقرر العودة. تلوذ أمي بصمتها العاصف. تبدو لي أحيانا كمهمة وجودية غامضة. ما معنى وجودها هنا بالذات وسط الهباء الكوني؟ ما معنى وجود شبيهة بفضيحة يكتم سرها الكل؟ ولماذا تخشى أمي غواية الحظ؟ أمي الحريصة، تحرس أموالها القليلة بعناية. تقول: أنظر لنفسك، لقد ركضت خلف الحظوظ كلها ولكنك في آخر الأمر لم تحصد غير الخراب. آه يا أمي، سأشرب نخبك الآن. أرى أمامي ما يشبه الأجساد المتناثرة وسط براري ضائعة. أقيس بالقناني الأوقات المتسربة بين أصابع الوجود كذرات رمل. أتذكر قول "المجاطي": (تسعفني الكأس ولا تسعفني العبارة). المرآب ضاج بالمتلاشيات، الأجساد متفرقة في أنحائه ككطع خردة. أمي تقول لماذا علي أن أنسى كل شيء. أنا لا أريد النسيان. أريد أن أحرس كل ما تبقى من أنقاض الذاكرة حتى لا أفقد صوابي وسط هذا السهب الملعون. أريد أن أقنع القرويين بأن العودة لا تعني الهروب. وأنت، تخاطبني قائلة، مم تهرب. لا أدري، أقول لها، أنا لا أدري أي شيء، منذ سنوات طلقت المعرفة. أقف في شرفة ضيقة معتمة وأحاول أن أتمرن على مشاهدة الفراغ المترامي. وحده الفراغ يذهلني، أقول لها. النادل البدين يقف أمامي بسحنته المثيرة للتقزز. هل تطلب قناني أخرى، يقول لي بصوته الأجش. لم أطلب شيئا، أجيبه، ولماذا أشرت إلي؟ لم أشر إليك، قلت له. ضحكت من نفسي، يبدو أنني قد أدمنت رفع شارة النصر، كالمرحوم ياسر عرفات. كيف أخطب في الأطياف؟ كيف أخطب ود الأطياف؟. لم تعد لي حشود، لم تكن لي حشود يوما ما(..) صمتت وتركتني تائها وسط هسيس الأرقام الغامضة. أوراق الخسران تساقط سريعا، مثل أوراق شجرة الصفصاف خريفا. كنت أجلس هناك في غرفتي، خلف النافذة وأتفرج عليها في فصل الخريف وهي تهوي كنوتات سمفونية منذورة للغياب. كان(ج) يلج غرفتي ويسألني بصوته الأجش الشبيه بصوت مارلون براندو في فيلم "العراب": (هل ترجمت النص الذي كلفتنا الأزلية بترجمته؟)(..) (ج) كان يحلو له أن يسمينا حلقة الشعراء المفقودين. والغريب أنني طلقت الشعر منذ مدة طويلة. مذ صارت القصائد تولد كالهامبرغر والشعراء يتجولون في المنتديات واللقاءات كمكلفين رسميين بمهام ما. الكل طاعن في صمته، منهمك في قراءة الأوراق، وإحصاء الخسائر. المرآب الرحب الضاج بالأطياف الغاربة، يمتد كفلوات، مفازات تخترقها ريح الخسارات. الزبناء يجوسون خلل الأرقام كأرواح معذبة. والخيول تبدو كما لو أنها تركض في سماوات عالية جدا. والرغبات تهوي، تسقط في مهاوي سحيقة الغور، تتحلق حول الطاولات، تلملم الأنقاض، تصوغ جداول لتصنيف التيه. أحدهم ينتفض، يقف صارخا، ثم يجلس وينخرط في نوبة بكاء. آخرون يستسلمون لانخطافات اللحظات. يحلقون بلا أجنحة في أثير الباطن. النادل يسقط القناني بمظلات ميتافيزيقية، فوق طاولتي، وأنا أدخن شارة النصر، الواحدة تلو الأخرى. يتعالى دخان الحشود وهي تردد الشعارات التي أرفعها وأنا واقف خلف منصة الفقدان. المظلات ما تني تسقط، وأنا ضالع في متاهة التيه. أرى أمي بوشمها الأمازيغي وملامح وجهها الغاضبة والمغلقة، وهي تتأمل الأفق صامتة. أمي تقول بأن الكلام لم يعد يهمها. أراها واقفة في موقف الصفح الجميل، وهي تمحو كل خطاياي، تقول لي، لو لم أصفح عنك فمن سيفعل ذلك؟. وأنا مثل تلميذ مذنب أتقرى خرائط خوائي، ألوذ بالصمت، وأراها، كأنها هي. الأم السادرة في أتون الأرض، التي تتمايل أحيانا وسط الحقل على أنغام موزارت، وتقول لي بأنها تحرسني حتى في غيابي، وأنا جالس وسط قبيلة الزومبي، طاعن في الكتمان أتأمل غيابي، ولا أجرؤ على تخيل مهمتها الغامضة هناك. أحمل مظلتي الميتافيزيقية وأغادر المرآب. وفي مكان ما تخب الخيول كأنها الوحيدة التي تحلم داخل حدائق الأرقام.

ثلاثة أحجار صغيرة في قاع النهر

أنيس الرافعي
قاص من المغرب

أدعى السيد (س).
أقصد، كنت أدعى هكذا سابقا، نني ان بلا اسم.
وفي هذه اللحظة التي أحدثكم فيها، أنا في نقطة معقمة وضائعة بين الحقيقة والوهم.
لنقل: في حيز بعيد جدا لا أعلم عنه أي شيء.
في الخارج تلوب رياح خفيفة تشي ببداية فصل الخريف، وفي داخل مقهى شعبي صغير أجلس وحيدا ومبتورا عن كل ما يحيط بي كصوت المغني في شريط عتيق.
أرتشف على مهل سواد فنجاني. أحرق السيجارة تلو شقيقتها، وأتصفح بانتباه مشوّه عناوين إحدى الجرائد (جريدة هذا اليوم، تحديدا)، دون أن يزايلني احساس الغامض بان نسخا طبق اصل مني – شأن قطع شتى من مرآة واحدة ذات وجوه متعددة – تؤدي بشكل متزامن أو استباقي نفس حركاتي في المكان اول الذي وفدت منه، أو في اماكن التي سوف أرتادها في ما بعد.
فلقد وصلت اليوم فقط من عالمي القديم، الذي غادرته بعد أن حزمت أمري على وضع حد لنمط وجودي السابق الذي لم يعد ـ البتة ـ يروقني. هناك حيث اكتشفت منذ زمن طويل أنني ميت. ومنذ ذلك الحين لم أفعل شيئا آخر سوى محاولة مداراة هذا الموت باقصى ما أملك من مخاتلة.
وعلى الرغم من نجاحي الباهر والمتخيلي للتوقعات، ن أي أحد لم يكتشف هذا الموت، لكنني في نهاية المطاف تعبت من التظاهر بالحياة.
أعود بشرودي إلى الجريدة، فيقع انتباهي عفو البصر على مقالة من دون توقيع، تحمل عنوان: "يوميات السيد (س) ". أشرع في القراءة، وأتابع مع السارد العليم لعبة توسيع مروحة الحبكة، التي يعلن منذ المفتتح أنها "نتاج ثلاثة أنوية قصصية صغرى، غريبة ومستقلة في الظاهر عن بعضها البعض، لكنه حاول أن يجد بينها صلة قرابة دنيا ولا غنى عنها، بالطريقة ذاتها التي ترتبط بها سطوح مجسم رباعي الوجوه عند تقاطعها في زواياه. انوية نفسها التي سوف تنصهر في النهاية عند وصول الشخصية الرئيسية لليوميات إلى مرحلة التطابق مع السطوح الرباعية بعد تفكك المجسم وانبساطه في مستوى وحيد مثلما كان في قطعة الورق المقوى التي تشكله بعد قص ولصق طياته الصغيرة عطائها الشكل والحجم الملائمين"، ثم عقب ذلك طفق يروي بعين لا تريم وعاطفة كسيرة تفاصيل الرحلة ابدية التي لاتنتهي للسيد (س) من مقر سكناه بالضاحية البعيدة صوب الطرف القصي للمدينة قصد التحاق بالعمل أو " جريمة النهار" كما أطلق عليه.
رحلة كريهة قوامها كل أسلحة القتل الصغيرة والصامتة التي تستعملها الحياة عندما تفرض عليك بشكل متكرر لا فكاك منه أن تحفر بئرا وتملأه بعرقك وأعصابك: إنها المنبه القاسي قبيل الفجر، وانتفاضة الجسد المقصوف بأطنان من الكد وارق. إنها الزاوية الضيقة من حافلة مهترئة مكتظة، وعزيمة الذاهب إلى مسلخ خاليا من الشكوى. إنها وطيس الزحام الذي يبتلع الكيان كما يبتلع القرش صغار السمك، وأضراس الوظيفة التي تطحن عظام الروح بلا رأفة.
رافقت هذا الرجل المحشور في جرح اليومي على مدى نهار كامل كما لو أنني أعيد قراءة موجز لتاريخي الشخصي. وعلى الرغم من تشابه اسماء وتطابق المصير الذي كنت عرضة له في ما مضى، فذلك الرجل يقينا لم يكن أنا تماما. إنه فقط أثر انشوطة على لحم الرقبة. ما لم يستصلح بعد. ما لم يكن بوسعه أن يتماثل للشفاء من الخسارة.ما لم يجز كما يجب من اعضاء الطرية لوجداني، وفضلة ديون مما يتحصل من خطوة إعادة حياكة النفس. تماما أنا لن أكون بعد اليوم ذلك الرجل يقينا، إنه فحسب بقية من ذكرى باهتة لاتزال تتعذب هناك، وشيء من الفراغ الكبير الذي طالما نخرني من الداخل كالغرغرينا قبل أن أقبض على عمري معصوب العينين داخل غرفة، ثم أطلق على جمجمته الرصاص بلا رحمة.
أواصل القراءة إلى أن بلغت سطور الجريدة لحظة اياب وبداية هطول مطر شتوي غزير، عندها استهل السيد (س) الركض باقدام ذابلة وأنفاس متقطعة. حافلة العودة على وشك التكشير عن سرعتها القصوى، وهو مازال على ساعد الطريق، بعيدا. بعيدا جدا كان حمولة ثقيلة تعيق خطوه ويتوجب عليه أن يرمي قطعا من لحمه وأعضائه ليصل. حينئذ، ألفيتني ـ ولسبب لا يمكن تفسيره كما لو أن كياني أصبح موصولا مباشرة بكيانه بواسطة قابس روحي ـ أحتل كل ميلمتر من جسده، واستأنف الركض عوضا عنه.
التحقت بصعوبة بالغة بالحافلة المنطلقة، وصعدت من الباب الخلفي. انتبذت مقعدا في الصف اخير وسط ناس صامتين وبالغي الرثاثة كما لو أن نوبة ركود أزلي انتابتهم بغتة. خاضت الحافلة غمار اسفلت دون انقطاع، وفتكت بمحطات لاعدّ لها كأنها ماضية إلى مكان ما أبعد من كل مكان، بيد أن محصل التذاكر لم يبزغ له أي أثر، كما أن لا أحد من الركاب أشهر رغبته في النزول. استغربت امر، فكان من الطبيعي أن تفتر قدماي عن خطوات سريعة لتردم المسافة العالقة بيني وبين السائق وهذا استفسار:
ـ "من فضلك، إلى أين تتجه هذه الحافلة، ومتى نصل إلى الضاحية".
رد السائق:
ـ "اطمئن، إذا سارت امور على مايرام، ستصل قريبا"، ثم أردف بنبرة حازمة:
ـ "رجاء، عد إلى مكانك، وتصرف كما يجدر بميت!".
أسقط في يدي، فتقهقرت راجعا. غير أنه بعد انصرام دقائق قليلة، فرملت الحافلة وانفتح بابها أمامي. هرعت للنزول جدني على مشارف الضاحية، حيث كانت تلوح على مدى العين الظلال الرهيبة للمجمع السكاني الضخم الغارق في سديم الظلام.
تقودني خطاي بيقين من ينجز حركات روتينية معتادة صوب المكان المفترض أنني أقطنه، إن ذاكرتي ـ بكل صراحة ـ نهضت بعبء نسيان الوجهة والعنوان.
ومادام حذاء التائه جملة بلا فواصل، فقد مشيت الليل برمته هائما على وجهي وسط جو صيفي ساخن. أحياء يزهر فيها التشابه؛ منعطفات بلا حصر؛ ساحات شديدة الخواء والوحشة؛ شوارع مجردة من نعمة أسماء. سلكتها جميعها بنسق دائري، ذارعا تلك الدوائر مرة بعد أخرى كما لو أن تلك الدوائر سوف تنكسر عاجلا أو آجلا بعد عدد حسابي مجهول من الدورات، وستسمح في الختام لضياعي بأن يمضي في اتجاه حقيقي.

وهذا ما حصل فعلا، إذ لقيتني قبيل الفجر أمام باب مفتوح.
دفنت جسدي في السرير بمجرد ما صرت في الداخل، ثم سقطت في هوة سبات لاقرار له، غير أن المنبه الصاخب سرعان ما انتشلني بفظاظة، ينهض بجهد وتعب عارمين كما لو أنني خرجت من خندق مائي، وعلي أن أكشط على عجل كل ما علق بي من ألياف وطحالب وأعشاب وهوام صغيرة إذا ما وددت التحاق بالحافلة التي ستقلني مجددا نحو المدينة قصد موافاة العمل.
على هذا المنوال بحذافيره، سفكت أياما غفيرة، وتعذر علي ـ كما يرجو الخيال ورغم محاولاتي المستمرة ـ وبة إلى سطور الجريدة للخروج من يوميات هذا الرجل الذي لا أعرفه، واستعادة نفسي مرة أخرى.
إلى أن حل يوم بصقتني فيه الحافلة على مشارف الضاحية كالمعتاد، فوجدتني أصل سريعا إلى البيت، وفوجئت بأن الباب كان موصدا بخلاف المنتظر. ولا أدري وقتئذ لم أحجمت عن قرع الضلفة المعدنية (التي كانت تتخذ شكل طائر جارح بلاعيون)، بل ضللتني طوال الليل حتى قبيل الفجر ببرهة زمن، ثم تقدمت وطرقته أخيرا.
لم يأت أحد لفتحه، وكان علي أن أنتظر طويلا حتى بزغ من الباب رجل شاب بوجه مشدود وعيون لامعة. وجه مألوف من المحتمل أنني امتلكته ذات يوم قبل أن تمشي علي ايام بأحذيتها القاسية، لكن مع ذلك كان من الصعب الجزم بأنه لي. ظل كل واحد منا يتقرى آخر معتصما بصمته ودهشته، فلم يكن أمامي مناص من الدوران على أعقابي، ثم انطلقت.. انطلقت، ساقاي طويلتان ولا حقيقة فوق كتفي...انطلقت، وكنت لحظتها الشبح ـ كثر وحدة في الكون!.

الزمان - السنة الخامسة عشرة - العدد 4460- الاثنين 12 من جمادي الأولى 1434 هـ 25 من آذار (مارس) 2013م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vo1/15. UK. Issue 4460 Monday 25/3/2013

من ملف القصة القصيرة في المغرب (16)

الحب في زمن الإنترنت/2

نور الدين محقق
قاص من المغرب

اكتشف صديقي الكاتب القصصي، الذي أعرفه منذ عهد الطفولة، عالم الانترنت فجأة. أحب هذا العالم كثيرا بحيث قرر بينه وبين نفسه في أول الأمر، وبينه وبين زوجته بعد ذلك، أن يتخلص من كل الكتب التي اشتراها منذ أن كان في طور النشأة الأولى إلى ذلك اليوم، والتي أصبحت من كثرتها تملأ معظم أرجاء البيت الذي يقطنه، بحيث بدأت في الآونة الأخيرة تتسرب إلى غرفة النوم أيضا. وهو ما دفع بزوجته إلى الشجار معه باستمرار وتهديدها له بعملية إحراقها أو رميها في قمامة الزبالة، أو، في أحسن الأحوال، بيعها إن دعت الضرورة إلى ذلك. وكان في بعض الأحيان يثور في وجهها متهما إياها بالجهل، لكنه في غالبية الأحيان يترجاها ألا تنفذ تهديدها، واعدا إياها بتدبير أمر هذه الكتب في القريب العاجل، إما بنقلها إلى البيت الموجود في سطح العمارة، والذي قام بتشييده خصيصا لهذه الكتب، لكن زوجته استولت عليه بدعوى قربه من الحبال المخصصة للغسيل، و إما بترحيلها إلى الغرفة التي كانت ممنوحة له في بيت الأبوين حينما كان عازيا. وهو الأمر الذي كان يخشاه كثيرا لمعرفته بأخلاقيات إخوته، خصوصا الأصغر بينهم الذي لن يتردد في بيع أحد الكتب، إذا لم يتوفر له المال الكافي للذهاب إلى المقهى أو الذهاب إلى السينما. لكن المشكلة الآن لم تعد قائمة بالنسبة إليه. فمع معرفته بعالم الانترنت ومع اشتراكه فيه، هذا الاشتراك الذي لن يكلفه سوى القليل مما كان ينفقه في السابق، على عملية شراء الكتب، كما إنه سيعفيه من جلب كتب أخرى إلى البيت، أصبح هانئ البال. هكذا إذن قرر في لحظة صفاء مع زوجته التخلص من الكتب التي بدت له الآن لعينة ومثيرة للشفقة. بدأ في عملية إهدائها لأصدقائه ولصديقاته، مع علمه الأكيد بعدم رغبتهم فيها إلا تظاهرا بالمعرفة ومحبة في إيهام الآخر بشدة الاهتمام بها. كما باع البعض منها إما جملة أو تفصيلا، في حين رمى بالباقي إلى براثن الأخ الأصغر الذي رأى فيها ما قد يعينه، ولو لبعض الوقت في قضاء بعض مآربه الصغرى، إذا ما هو استطاع أن يجد لها شاريا. وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت الزوجة تعامله بلطف، كما أصبح هو يحس بكونه قد انتمى إلى العالم الجديد، وأنه قد ولد للتو والساعة، وأنه قد تخلص من جلده القديم.

وللتدليل على أنه قد أحسن عملا بما قام به، علق لوحة ذهبية أمام المكان الذي وضع فيه حاسوبه السحري، وقد كتب عليها قولة نيتشه: الثعبان الذي لا يغير جلده يموت، وبالفعل، فقد لا حظ الكثير من أصدقائه بمن فيهم أنا، التغيير الايجابي الذي طرأ عليه، إذ تحول من إنسان ساهم، يفكر كثيرا في داخله ويرى العالم من خلال الكتب الكثيرة التي كان يلتهمها إلى إنسان آخر، جديد كل الجدة. إنسان أنيق بشوش ، يضحك باستمرار ويستمرئ الحديث مع صديقاته الكثيرات المتفرقات في مختلف أنحاء العالم الواسع. وفي كثير من الأحيان، كان يستمتع بسرد بعض الحكايات الطريفة التي وقعت له، والتي يرغب في تحويلها إلى قصص قصيرة جدا، يقوم ببعثها إلى المواقع الثقافية الالكترونية المتواجدة داخل هذه الشبكة العنكبوتية الهائلة. ذات يوم رن هاتفي، فإذا هو على الخط مباشرة معي. كان صوته يتوهج فرحا. سألته عن سبب الفرحة العارمة المتجلية في صوته. قال لقد نشرت لي قصص قصيرة جدا في موقع قصص وأريد أن أسمع رأيك حالا فيها. سأعاود الاتصال بك بعد ساعة من الآن. أنزلت سماعة الهاتف.ارتديت ملابسي على عجل، إذ لم أكن قد اشتركت في الانترنت بعد. كنت مصرا على جعل مسافة بيني وبين هذا العالم العجائبي. اتجهت صوب أقرب مقهى مخصص له. وجدته غاصا بأناس من مختلف الأعمار، وإن كانت حصة الشباب منهم إناثا وذكورا هي الأوفر. من حسن حظي وحظ صديقي أنني وجدت لي مكانا داخله.اتخذت وضعا مرتبكا. كانت الفتاة التي تجلس بالقرب مني، منهمكة في الحديث مع صديقها العربي. كانت تقلد اللهجة الخليجية، وهي تعلن له عن حبها، وعن تعلقها السريع والبديع به، كانت تصيح: بموت فيك، بحبك كْوي، في حين كان الشاب، الذي يجلس بجواري من الجانب الآخر، يصيح بصوت مرتفع بعض الشيء وبلغة إنجليزية خالية من اللكنة الشخصية: **I love you**. أشعلت الجهاز، بحثت عن الموقع الذي دعاني صديقي للولوج إليه. وحين وجدته، طالعتني في البداية وجوه متعددة من الكتاب الذين أعرفهم.أقصد سبقت لي قراءتهم. بحث عن اسم صديقي، وجدته يحتل ركنا لافتا للنظر.كانت صورته منتقاة بدقة من بين مجموعة من الصور التي سبقت لي مشاهدتها عنده، حينما كنت أزوره في بيته. يبدو في هذه الصورة مفكرا خارق للعادة. الغليون مشتعل في اليد اليمنى، الوجه تبدو عليه سمات التفكير والاستغراق العميقين. ابتسمت. آه .. كم تخدعنا الصور. بدأت في القراءة. لفتني عنوان مجموعة القصص القصيرة جدا، التي قام صديقي بنشرها. كان عنوانا جميلا. يتناص مع عنوان رواية غارسيا ماركيزالحب في زمن الكوليرا. سبق لي أن أبديت ملاحظة في العنوان، حين حدثني عنه عرضا. قلت له: عنوان مثير. لكن يجب أن يعبر بالفعل عن مضمون ما ستكتبه. ابتسم لحظتها بخبث ولم يخبرني بشيء. نسيت أن أخبركم بالعنوان. العنوان هو الحب في زمن الانترنت. أتمنى ألا يكون أي من كتاب هذا العالم قد سبق صديقي إليه. أشهد له ببراءة اختيار العنوان المشار إليه أعلاه.

ما علينا، فحتى وإن وجد مثل هذا العنوان، فكثير من الروايات والقصص تتشابه عناوينها دون أن يعني ذلك بتاتا أخذ اللاحق عن السابق. كما أن صديقي في مقدوره تغيير العنوان. المهم هي القصص.

لنعد إذن إليها.القصص القصيرة جدا،المنشورة تحت اسمه، قرأتها واحدة تلو الأخرى. كانت ابتساماتي تتدفق بين قصة وأخرى.التفت الشابة التي بجانبي بعد أن أنهت حديثها مع صديقها الخليجي إلي، مبدية ابتسامة غاية في الإغراء.اقشعر بدني. كم هي جميلة ابتسامتها.حدجني الشاب الذي يجلس بجانبي الآخر، والذي أنهى هو الآخر حديثه مع صديقته الأمريكية بنظرة فيها بعض غبطة و بعض حسد.لم أعره اهتماما.التفت صوب الشابة وبادلتها ابتساما بابتسام.نهضت مودعة.فعدت إلى النظر في حاسوبي و بدأت في قراءة القصص القصيرة جدا.

كثير من الروايات والقصص تتشابه عناوينها دون أن يعني ذلك بتاتا أخذ اللاحق عن السابق. كما أن صديقي في مقدوره تغيير العنوان. المهم هي القصص

وحتى لا يكون حكمي عليها إن مدحا أو ذما في غير محله.أشرككم معي في قراءتها، ليبدي كل واحد منكم رأيها فيها.و لنرى بعد ذلك ما قد يكون حكمنا الجماعي عليها.

-1-

(سهر الكاتب كثيرا، وهو يحاول تطويع القصائد المستعصية، التي تأتيه حينا و تنفلت منه أحيانا. و حين اعتقد أنه قبض على جمرة اللهب المتواجد فيها.قام بإرسالها إلى أحد المواقع الثقافية الالكترونية.نشرت القصائد على التو،حال وصولها.تباهى بها أمام زملائه من الأدباء.مر وقت قصير، فإذا به يجد تعليقا عليها من أحد القراء: قصائد لا لون و لا طعم و لا رائحة لها. استشاط في البداية غضبا.ثم هدأ من روعه، وأجاب قارئه بهذه الكلمات: صدقت، إنها لكذلك، مثل الماء تماما.ألا ترى معي يا صديقي أنها ضرورية للحياة مثله)؟.

-2-

(كان الشاعر مستغرقا في قراءة ما أنتجته قريحته من نصوص شعرية. يقرأها ويعيد قراءتها المرة تلو الأخرى، مستمتعا بما فيها من إبداع.لم يسمع رنين الهاتف الذي كان يملأ كل أجواء البيت.انتفضت زوجته غاضبة، وهي تضع على كتفها منديلا كانت ستمسح به يديها، مخاطبة إياه بقولها: ألا تسمع رنين الهاتف؟، ألا تريد أيها العبقري أن تكلم حبيبتك الغالية؟ .نظر إليها في هدوء ثم رفع سماعة الهاتف، وبعد أن استمع إلى الصوت الآتي من الطرف الآخر، ابتسم، ثم خاطبها بقوله: صدقت نبوءتك يا زوجتي.إنها بالفعل حبيبتي!.

-3-

(فتحت الشاعرة بريدها الالكتروني.ابتسمت حينما وجدت رسالة جديدة فيه.ضغطت على عنوانها.انفتحت الرسالة.قرأتها على مهل:سيدتي الشاعرة المبدعة، أتتبع كل ما تكتبينه من قصائد.معجب جدا أنا بها.تصوري لقد أحببتك كثيرا من خلال ما تكتبينه.أنت بالفعل رائعة يا سيدتي..ابتسمت الشاعرة من جديد، ثم ضغطت على زر الرد.كتبت في جوابها كلمات مقتضبة:إنني متزوجة .ثم كأن يدا أمسكت يدها، و منعتها من الضغط على زر الإرسال.

بل أكثر من ذلك إنها أي هذه اليد المجهولة، أرغمتها أيضا على إضافة هذه الكلمات إلى كلماتها السابقة: بأشعاري.حين وصل الرد إلى صاحبه.ابتسم. قال في نفسه:هناك أمل).

-4-

(ذهب الشاعر إلى مقهى الانترنت القريب من البيت الذي يقطنه.فتح بريده الالكتروني على عجل.آه لقد أجابت أخيرا على رسائلي الكثيرة إليها.كنت متأكدا من أنها لا بد أن تجيب.الكلمات الجميلة التي أرسلتها إليها، لا بد أن تؤثر فيها.فهي أنثى ، والأنثى شغوفة بالثناء عليها.فتح الرسالة الالكترونية.صدم.كانت كلماتها نارية: أرجوك أن تنساني.فكر مليا في الإجابة.ماذا يقول لها .جاء صوت أم كلثوم منبعثا من عند صاحب الاسطوانات القريب من المقهى الذي يجلس فيه: أنساك، ذا كلام، أنساك يا سلام...سقطت دمعة على وجنته اليمنى، وعلى الوجنة اليسرى، رفرف عصفور مبلل بقطرات المطر.ظل يحدق في الحاسوب لكنه لم يكن يرى شيئا.كانت عيناه منغرستين في قلبه.)

-5-

(تجول الشاعر كثيرا في المواقع الثقافية الالكترونية.وجد صورها تملأ فضاءاتها .ها هي في روما.ها هي في نيويورك.هاهي في باريس. ها هي في لندن يا عزيزي.ها هي تجلس مع المشاهير من أهل الفن والثقافة.هاهي حين كانت صغيرة.ها هي حين تزوجت.هاهي حين تطلقت.ها هي تقرأ أشعارها في الملتقيات الأدبية المتعددة.ها هي أخيرا توقع ديوانها الأخير.لكنه لم يقرأ أيا من أشعارها. في صباح أحد الأيام.وجدت مقالة نقدية رائعة ممضاة باسمه، يتناول فيه أشعارها بالتقريض. لقد كان يحبها).

انتهيت، كما ترون يا عزيزاتي و يا أعزائي، من قراءة هذه القصص القصيرة جدا.وهي كما رأيتم تطرح مسألة الحب في زمن الانترنت.أعجبت ببعضها.لم أنكر على صاحبي القصاص، قدرته على التقاط مثل هذه التفاصيل الصغيرة التي تتسم بالغوص في حياتنا اليومية، بل على العكس من ذلك، قررت بيني وبين نفسي أن أبدي له صادقا إعجابي بها.أما أنتم أيها الأصدقاء، فإنني أعدكم بنقل كل تعليقاتكم عليها إليه، كيفما كان نوعها مدحا أو ذما وعتابا و مؤاخذات. والى قصة أخرى.

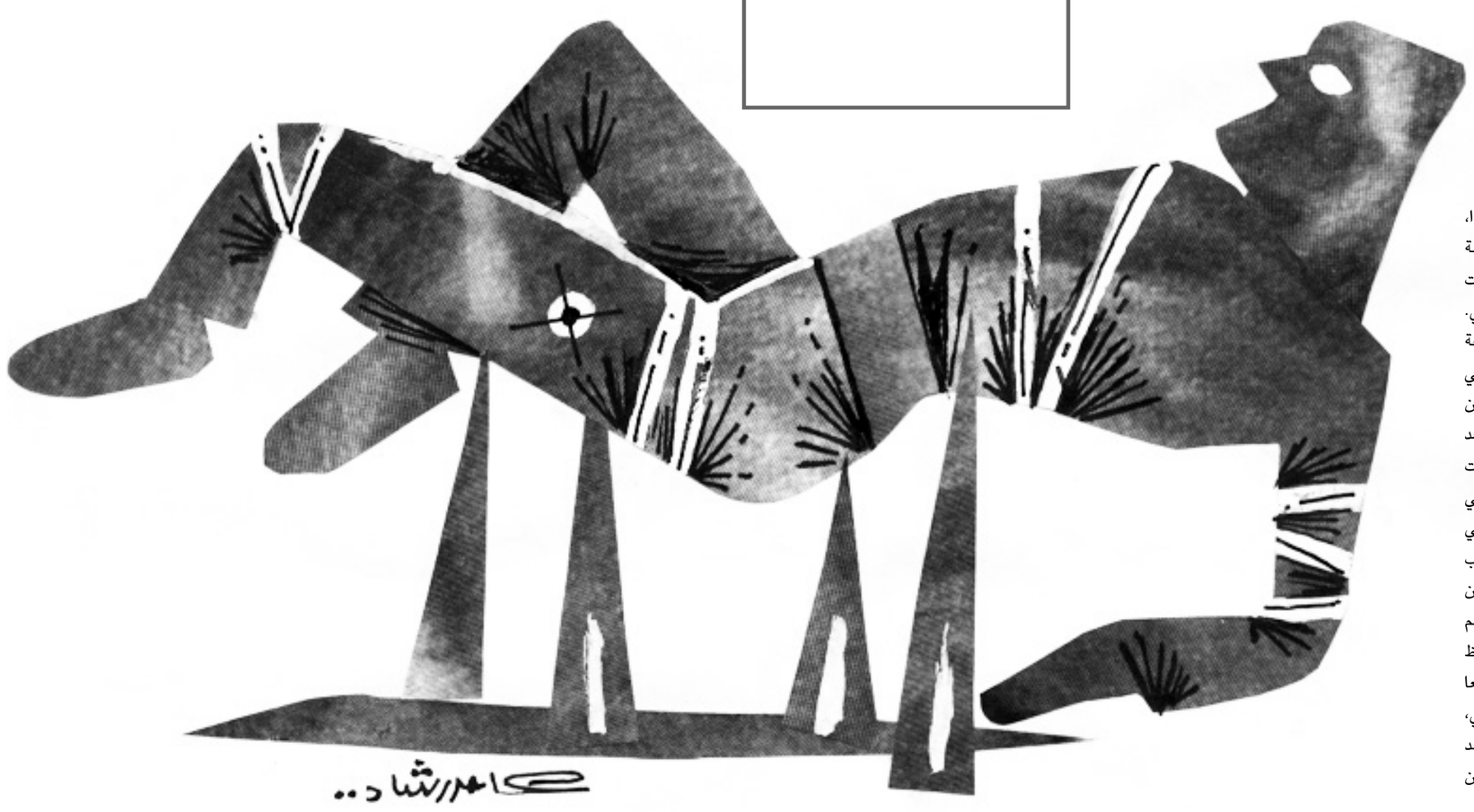

شقة محترمة ـ فاطمة بوزيان

March 11, 2013 –

الأطفال الذين تعودوا على إرسال الكرة نحو زجاج كل النوافذ دونما حذر، استثنوا شقة واحدة أحدهم يصيـ دائما في بداية اللعب

ـ احترموا هذه الشقة فهمتم، لا نريد مشاكل مع المخزنـ احترموا هذه الشقة وابتعدوا إلى الخلف، لا نريد مشاكل تصيح إحدى الأمهات أيضا، ويتحول الأطفال صوب بيت الحارس، يكتفي الحارس بالابتسام نافذته الصغيرة طار زجاجها منذ زمن ربما لهذا لا يجد مبررا للصراخ في وجه الأطفال، ثم ربما يفكر أن لا أ للزجاج مادام ينام خلف باب العمارة ليلا ويجلس أمامها نهارا، أو ربما يفكر في أشياء أخرى تنسيه صخبـ تحببه إليه.. يقف في حركة مفاجئة تجعلك تتوقع انه أخيرا سيتمرد ويصرخ في الأطفال كي يبتعدوا..لكنه ي حول العمارات في حركة استكشافية روتينية ويعود إلى كرسيه..يعلو صخب الأطفال ولغوهم ويظل هو في حالة هدوء مثير.. الذين يتتبعون حركاته الهادئة في مثل هذه المواقف يفسرون ذلك بالبيئة القروية التي نشأ أحدهم يقول إن أجواء المدن تجعل أعصابنا دائما على حافة الانفجار، أنا مثلا أتمنى أن يأتي أحد أولئك العفاريت ويلعب الكرة قرب دكاني تدرون ماذا سأفعل؟سأمزق كرته بأسناني هذا في أحسن الأحوال لأني أتوقع أن أتهور أكثر وأعض أذنه.. آخر يشير إليه ويضحك قائلا ماذا يمكن أن يحرس هذا؟ جثته المشحمة يمكن أن تغري النساء بشيء ما، أما أن تخيف اللصوص فهذا مستحيل يعقب آخر دعوه يأكل رغيف الخبز الأمن مستتب هنا، هل نسيتم أن السلطة بينا؟ و يشير إلى الشقة نفسها، يرى الحارس في لفتة سريعة الإصبـ المشيرة فينتفض واقفا، ينظر إلى النوافذ المفتوحة ويدرك بحدس سر لا يعرفه سواه أن السيد مازال في الداخل، لكن الساعة تشير إلى أن موعد خروجه س بعد هنيهة ..يسئل من جيبه منديلا وحين يلمح طيف السيد على السلم يسبقه صوب موقف السيارات ويمسح زجاج السيارة الأمامي.. يظهر الرجل الصارم ـ العتبة ويتعمد كالمعتاد تفحص المكان لبضع لحظات وإظهار نيا شينه، يشير إلى الحارس.. يهرع إليه.. يكلمه بينما الحارس يصغي ويحرك رأسه بالإيجاب الذين يتابعون المشهد من بعيد يعرفون أن الحارس سينصرف من أجل أخذ كلب السيد في نزهته اليومية ثم سيحضر ابنته من المدرسة، ثم يغيب في الشقة لدقيقة يخرج منها قاصدا دكاكين الإقامة ويرجع إليها محملا بالأكياس، وهم يستغربون لماذا يبدو سعيدا وهو يقوم بكل تلك الأعمال مع أنهم يعلمون أنه لا يتقاضى أية نقود نظير تلك الخدمات أحدهم ينهي الحوار قائلا حكم القوي على الضعيف'، الحارس نفسه حين يسأل يردد هذه الجملة..يزداد صخب الأطفال ينصرف الذين كانوا يراقبون إلى دكاكينهم.. يخرج الحارس الكلب من كوخه الخشبي يمر به أمام الدكاكين في حركة استعراضية يعرف هو وحده غايتها، وعندما يصبح خارج صف العمارات يدنومن الباب الخلفي الأيسر للقبو ويفتحه، يدخل الكلب ويتبعه، يصبح الاثنان في القبو المشترك للعمارات يستطيع ا أن يمشي بحرية حتى يصل إلى الباب الأمامي الأيمن الذي يوجد مباشرة أسفل شقة السيد، سيترك الكلب في القبو ومن فتحة باب القبو سيراقب الذين كانوا يراقبونه، وحين يتأكد من انشغالهم يتسلل إلى الشقة، تغلق هي شبابيك النوافذ، وعندما تصبح بين أحضانه يصرخ في ابتهاج فتهمس له محذرة يطمئنها ـ لا تخافي لا أحد يجرؤ على الاقتراب من الشقة ، والأطفال يصخبون.

ككل المرات مع اختلاف كبيرفي أمور الحب والزواج كل المدن صغيرة

وصلت إلى العاصمة ôصباح طري يولد في أجواز السماء ويغمر المدينة بالألق ،شيء ما يزعجني في قلبي، منذ سنوات أزور هذه المدينة وبمجرد ما تتسرب الحفنة الأولى من هوائها إلى رئتي أصير مبرمجة بطقوس الزيارات السابقة، أطوي المسافات على هواي إحساسي بأن لا أحد يعرفني هنا يحررني القيود التي أحسها حين أكون في مدينتي الصغيرة فأتملى الوجوه الرجالية بكل جرأة، أرتاد المقاهي وأرتكب حماقات لا أستطيع مجرد التفكير فيها حين أكـ هناك..استوقفت طاكسي

ـ مقهى باليما من فضلكطابور السيارات الذي انضممنا إليه يبدو وكأن لابداية له ولانهاية شلال من البشر يتدفق على الأرصفة بمنتهى الصحو في مثل ه الوقت بالكاد تمسح خطوات التلاميذ آثار النوم على وجه مدينتي الصغيرة ونادرا ما تلامس عجلات سيارة إسفلت الشوارع..اللعنة لاتسى مدينتي أنا هنا في العاصمة..شيء ما يزعجني في قلبي..قبل أن ألج المقهى أخرجت مرآتي الصغيرة ورتبت خصلات شعري ، نظراته علمتني أن أعشق شعري وأهتم به، ح ضبطتني أصرح له بدلك أنا القادمة من تلك المدينة الصغيرة استغربت ضحكت، ضحك، ثم ضحكنا معا..أضحك بحزن ، زمن ألبف يطل علي من الموائد المستديرة والأشجار المخضرة كأني كنت هنا بالأمس؟ كيف أشمع القلب بختم النسيان وأصير الماضي خيط دخان؟..في زيارتي الأولى وصلت مع بدايات النهار، استوقفت طاكسي..

ـ مقهى باليما من فضلك حين ولجت المقهى كان يجلس حيث أنا الآن كنت أبحث عن مائدة شاغرة ،وكانت نظراته تتبعني بوقاحة.. يئست وهممت بالخرو لكنه دعاني للجلو س معه، ترددت ماذا يمكن أن يقول من يراني معه؟ليقل ما يشاء ثم أنا هنا في العاصمة ولا أحد يعرفني، دقيقة صمت ثم ساعات من الكلام.. بدأنا بأحوال الطقس وختمنا بأحوال القلب..في الزيارات اللاحقة كنت أعلمه بحضوري فيجيئني يسبقه عطره وعطر ورود يهديها لي، كل شيء كا جميلا..تنهدت وسافرت نظراتي في فضاء المقهى، كل شيء مازال جميلا، الأشجار المخضرة ظلال أعمدة النور أغاريد العصافير، لكني مملوءة بالضجر وشيء ما يزعجني في قلبي..أهرب مني قليلا فألاحظ أن عدد النساء يتساوى مع عدد الرجال ،لاشك ان ارتياد المرأة للمقهى يبدو أمرا عاديا هنا..يقربي ر وامرأة يتهماسان بحميمية تظرت الى أناملهما غير متزوجين هكذا هي البدايات ثم يأتي صقيع النهايات ليحول بهاءها الى هباء في اللقاء الأخير سألته ـ لماذا لانتزوج؟

ـ لان الزواج يقتل الحب ـ ولكن لايمكننا الاستمرار هكذا ـ هذا ما علمتك مدينتك الصغيرة؟..ـ في أمور الحب والزواج كل المدن صغيرةأخرجني صو

النادل من شرودي كأنه مكلف باعطائي اشارة التوقف عن السفرفي دواخلي..أجبته بلا تفكير
ـ فنجان قهوةمن فضلك
ـ فورا مدامدام، تلفضت بالكلمة في دواخلي مثل من يسمعها لأول مرةوتتبعت مسقط نظرات النادل على الخاتم الذي يربطني برجل لم يجالسني قط هنا..رأيت الفضاء المخضر صحراء قاحلة..واحترقت أنفاسي بلهيب شيء يزعجني في قلبي
أحلام شات
اسمه على لوحة الدخول 4حالم
دخلت معه أمل..
ـ مساء الخير ،كتبت له
ـ مساء الخير ،كتب لها
قدم نفسه..
قدمت نفسها..تشكلت أمامه صورة فتاة جميلة.. سألها
أكدت ذلك..كتبت له أسئلة تخص مهنته كطبيب..
تذمر وتمنى لو تسأله عن جسده..
فيصف لها مكامن فحولته
فيصبح لهذا الدخول معنى
دخل معه ـ ميم أ ـ
قرأ بطاقة تعريفه وتجاهله..
عاد يكتب لأمل هواياته
السباحة التزلج على الثلج و..ـ انتهت الساعة تنسحب أو تستمر؟
لهجة صاحب النادي صارمة والنقود التي في جيبه لا تسمح له بالاستمرار..
في الطريق نظرته الشاردة..
تحلم بعمر جديد
يبدأ فيتمم تعليمه
ويصبح طبيبا مشهورا
ويتزوج أمل
ويده تدفع عربة الطماطم.
أمل في غرفة الدردشة يضحك..على الذين يتخيلونه فتاة جميلة في غرفة حقيقية.
لمسة زر
1
جاءته إشارة صوتية..
فتح لوحة الاستلام وقرأ أنت لا تحبني لماذا لا ترسل لي SMS‘
فتح لوحة الإرسال وكتب آسف إرسال الخطابات لم يعد مجانيا
إذن الظروف أقوى منا
إذن يجب أن ننسى بعضنا‘
2
استبد به العطش..لمح ثلاجة إلكترونية في أقصى المحطة
توجه إليها..
وضع قطعة نقدية حسب التعليماتوانتظر تدحرج العلبة الباردة إلى لوحة الاستلام.. فاجأته كتابة تعلن وجودها خارج الخدمة..عاجلها بلكمة تكفي لبقائها خا الخدمة.
3
اشتاق إليها
لكنه تذكر انه سبب الخصام
هل ستقبل اعتذاره؟
ربما نعم وربما لا
فتح درج مكتبهأخرج شريطا موسيقيا تقول فيه الأغنية
سامحني‘
أرسله إليها مع بنت الجيران..
مرت ساعةعاد ت بنت الجيران بشريط تقول فيه الأغنية
لا يمكن أن أسامحك أبدا
رقم الدائرة
واحد،اثنان، ثلاثة‘عبرت الممر الضيق بين غرفة الجلوس والمطبخ
في أقصى الممر علت ضحكتها
ثمانية عشرة خطوة‘
وكمن يجيب عن سؤال قالت ـ مجرد صدفة صوت التلفزيون يتناهى إليها ضعيفا..

رصت في أدراج الثلاجةالخيار الذي تخيلته يشبه.. وضحكت..
الجزر وضحكت..
الموز وضحكت ô
رتبت ما تبقى من الخضر بسرعة
عادت إلى غرفة الجلوس.. الصوت المبتهج بتعديلات المدونة يبشر برفع سن الزواج إلى ثمانية عشرة سنة
تنهدت في عمق..
لفت الروب على جسدها..
ثلاثون سنة مضت من عمرها..ثلاثون سنة و تنتظر العبور إلى غرفة نوم حقيقية
تناولت جهاز التحكم..
استعرضت القنوات الأجنبية..
ظهر الرقم 18..
في الدائرة..
في الزاوية اليمنى..
في الشاشة.. ظهرت غرف النوم المفرطة في الأناقة..ظهرت الأجسام المفرطة في الأنوثة..ظهرت الأجسام المفرطة في الذكورة ô
ارتخت ملامح وجهها..
حلت حزام الروب..
انحسر على فخذيها..
أصبح الذي في الشاشة في عينيها،
الذي في عينيها في الشاشة.
شفرةقبل أن يغادر مطعم الفندق غمز للنادل..طلب منه إرسال بعض الفاكهة إلى غرفتهاقترح النادل اختيارها من الكاتلوغ.
تأمل الصور باشتهاء و قال بخبث ـ شهية أتمنى لو بوسعي أكلها كلها.. حقا يحتار المرء في الاختياربصوت خافت كمن يبوح بسر خطير قال النادل ـ إذا منحتني ثقتك يمكنني مساعدتك على الاختيار
سحب ورقة نقدية ودسها في جيبه تحسسها النادل انفرجت أساريره وقال ـ التفاحة رقم واحد لذيذة و ستعجبك
صعد الأدراج مترنما،
فتح الغرفة والتقى بعينيها،
حياها بانحناءة..ردت بابتسامة حمراء مكثت على فمها لبعض الوقت
ظل ينظر إليها بفضول..مرت فترة صمت قبل أن يقول رافعا إبهامه
ـ حقا تفاحة رقم واحد
لعب
فريق الكرة يلعب في الشاشة..
الأطفال يلعبون في الغرفة..
هي تلعب بالعلك في فمها..هو يلعب بلوح الشكولاته في جيبه.. علا صخبهم على تعليق المذيع فنهرتهم
ـ دعيهم يلعبون اليوم سبت
نظرت إليه غير مصدقة
ابتسم لها.. في غفلة عنهم دس لوح الشكولاته في جيب روبها..
رأت أعراض الحالة بادية عليه..
ـ إذن هذه رشوة؟
ـ عربون محبة
تحركت أنامله على ظهرها حتىôال
تأوهت وانتبه الصغار..
و تبادلوا النظرات..
قال أصغرهم
ـ سيلعبان
قال أكبرهم
ـ انسحبوا
حكاية حكاية
روى لنا المعلم ذات زمن حكاية التحدي الشهير بين الشمس والريح قال راهنت الريح على خلع ملابس رجل مار كدليل على القوة الرجل الذي فاجأه هبو الريح قاوم جبروته..
زاد الريح من سرعتهô
ازداد تشب الرجل بملابسه ô
خارت قواه واستسلم.
جاء دور الشمس..
لامسته بخيوط من أشعتها برفق،

تخفف الرجل من قبعته.
زادت من حرارتها..
تخفف من بذلته..
اشتدت حرارتها في غير قسوة..
تصبب عرقا واشتهى السباحة
على الشاطئ نزع ملابسه،
وهكذا كان الفوز من نصيب الشمس،
وهكذا أدركنا نحن الصغار
ان الأمور تأخذ باللين
ان العنف ليس دليل قوة
رويت الحكاية نفسها لصغاري..
نظر إلي الطفل..
ثم نكس رأسه في الأرض..ثم خنق بأنامله ضحكة على وشك الانفجار استفسرته عن مغزى الحكاية فأجابني ـ المرأة دائما هي التي تنجح في خلع ملابس الرجل ؟
احتجت الطفلة وقالت بنسوانية ـ بل ان الرجل دائما مغرور وستنتصر عليه المرأة
أثناء شرب القهوةالمرأة تلك التي تعاف أكلة السمك..
لعلها تقيأت في حافلة،أو في شهر من أشهر حملها أكلة سمك. المرأة تلك التي تمشي جنب ذلك الرجل..
هي قطعا عشيقته..
هي بلا شك من النوع إياه..
وهي ربما أخته ولكن لا أظن. الرجل اللطيف الذي كان يجلس في مواجهتي باستمرار ô
يسألني عن الوقت باستمرار..
يستعير مني الجرائد باستمرار.. قد يأتي الآن..قد يتأخر قليلا..قد لا يأتي. يحكى اني كنت مرتبكة طوال الوقت..شردت طويلا وأنا أتأمل امرأة في المطعم المواجه..وتعلق بصري طويلا برجل وامرأة يعبران الشارع..وقيل اني تصفحت وجه ساعتي أكثر من مرة قبل أن أخرج من المقهى غاضبة جدا
كان بوسعه..
كان بوسعه أن يوالي خطواته،
صوب بيته مرفوع الهامة..
وأن ينتظم نبضه في ايقاع هادئ..وأن لا يزعجه صرير المفتاح حين يدور في مزلاج الباب.كان بإمكانه أن يرتقي الأدراج وهو يترنم بأغنية ما..
ويلج غرفة نوم ابنته الصغيرة..ويطبع قبلة المساء على جبين ينضح بالبراءة..
وتستفيق..
وتردد له ما علمتها المعلمة
ـ تثبح على خير بابا
فيصحح لها وهو يبتسم كالمعتاد
ـ قولي تصبح على خير بابا.كان متاحا له أن يلج غرفة نومه..حيث تقاوم امرأته خدر النوم ،كي تتمم كي قمصانه.
كان يستطيع أن يمتلك بقبلة،
مملكة جسد مباح له وحده. ..هو الآن يتسلل متدثرا بالعتمة إلى درب المتعة،يقاوم ما تبقى في عمقه من حصانة..
تقاومه رغبته..
صرير المفتاح يضخم خوفه..
يسمع نبضه كدق طبول حرب قديمة يلج الغرفة الغارقة في عطر رخيص..
ينسى كل ما كان بوسعه..يستعير بورقة نقدية جسد مباح للجميع
لم يكن بوسعها..كانت دائما تنتظر أن يأتي رجل تصد قامته الرياح
يخاف الهواء من شاربيه
يكتسح ظله ظلال الأسوار
وتكون لها غرفة نوم..وتقاوم فيها خدر النوم حتى تتمم كي قمصانه..وتكون لها ابنة تهمس لها على حافة كل مساء
ـ تصبحين على خير ماما
لا أحد جاء؟؟هي الآن تنتظر أن ينسى أحدهم كل ما كان بوسعه..
ويمنحها ورقة نقدية..
ويستعير جسدها.

السّكران

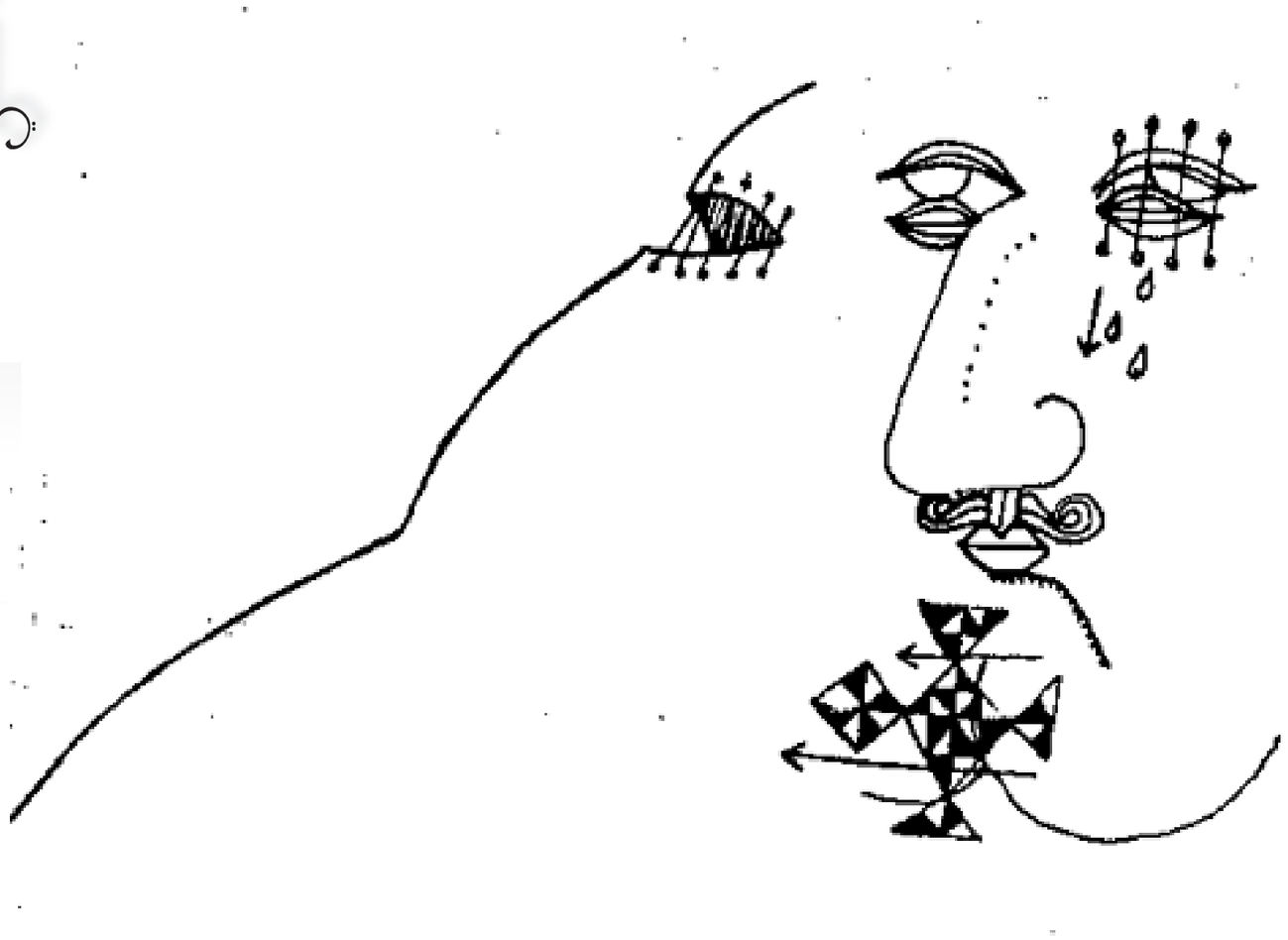

عبدالعالي بركات
قاص من المغرب

كان يروق لي الاستماع إليه وهو يتحدث عن تجاربه. يبوح بكل ما يخطر بباله. أحيانا كان يبدو لي أنه يهذي أو يدخل ويخرج في الكلام. مع ذلك كنت أحتمله وأصغي إليه دون أن أقاطعه.
اعترف لي بأنه لم يكن يتجرأ على عبور الطريق لوحده. لم أفهم ما يقصده بذلك، كما أنني لم أدر المناسبة التي جعلته يستحضر هذا الجانب من حياته بالضبط.
طلب قنينة أخرى، وواصل بوحه:
الجدة كانت تمنعني من عبور الطريق. كانت تأمرني بعدم الابتعاد عن عتبة البيت. ولكن في غفلة منها كنت أعبر الطريق وأبتعد. العديد من الأشياء كنا نقوم بها في غفلة عن آبائنا.أشياء ليست محرمة، ولكنهم كانوا يصرون على حرماننا منها.الذهاب إلى وسط المدينة.. الكرة الأرضية.

□□□□□

أردت هذه المرة أن أطلب منه أن يصمت؛ لأنه بدا لي أنه لم يعد يعرف ما يقوله، أو أنه ليس لديه ما يقوله، غير أنه سرعان ما استرسل في الكلام:

كانت عندي علاقة خاصة مع السطح، سطح البيت.

□□□□□

شرع هذه المرة يردد مقطعا غنائيا، رغم أنه لم يتمم كلامه:الدار اللي هناك، الدار اللي هناك، أول حب عرفته فيها..

□□□□□

قاطعته وأنا أسأله عن السبب الذي جعله يذكر السطح، وماذا يقصد بقوله إنه لديه علاقة خاصة به؛ فبدا لي أنه لأول مرة يصغي إلي ويرد على سؤالي:
هذا الفضاء- يقصد السطح- يرتبط عندي بالأحلام والخيال والإبداع. واحد الليلة، بت في السطح، بدون فراش ولا غطاء. السماء هي سقفي. جاري العجوز حذرني من ذلك. حذرني من أن النجوم يمكن أن تصيبني بمكروه، ولم أصدقه؛ فهو رجل كبير في السن، وكغيره من المسنين؛ فإن رأسه تعشش فيه الخرافة. لن أنسى أيام المشمش.

□□□□□

المشمش! فاجأني صراحة بذكره للمشمش. ليس هناك ما يذكر بهذه الثمرة؛ فبمجرد أن نطقها، لم أتمالك نفسي، وأخذت أقهقه، لم يجارني في ذلك. وبدا أنه جاد في ما يقوله، وأنه يعرف كذلك ما يقوله ويبوح به:
كنت أصعد إلى السطح، وأشرع في فرك نواة المشمش، إلى أن أحدث بها ثقبا. أقوم بإفراغها من حبة اللوز. هذا اللوز ذقته. هل سبق لك أن ذقت لوز المشمش؟ كنت أجده دائما ذا طعم مر. غرضي ليس باللوز، ولكنني كنت أجعل من نواة المشمش صفارة، وهذه الرغبة في الصفير، ما مصدرها؟ ربما لأنه الصيف. إنه فصل الهرج والتمرد.الشرارة الأولى للتمرد تنطلق مباشرة مع الإعلان عن نتيجة النجاح أو الرسوب.

□□□□□

يصمت هذه المرة. تبدو على وجهه مسحة من الحزن. يتأسف. يستغرق في الشرب. لكنه يضحك. إنه دائما يفاجئني. يسترسل في الحديث:
كنا نقوم باحتفال في الشارع. كنا نمزق الدفاتر، ولما نتعب من ذلك، أو بعد أن ننفث غضبنا. نصنع من الأوراق المتناثرة: صواريخ أو قوارب. بدون أن نشعر، كنا نصنع هذه الأشياء. لكن عندما تتمعن جيدا، ستجد أننا كنا نرغب في السفر. أنا أتأسف؛ لأنني لم أحافظ على أي دفتر من دفاتري المدرسية.

□□□□□

يضحك مرة أخرى.لاشك أنه تذكر شيئا مضحكا. أتشوق لمعرفة هذا الذي جعله يضحك. خشيت أن يكون قد نسي ما الذي أضحكه. طلب قنينتين، دفعة واحدة، واسترسل:
الشيء الوحيد الذي مازلت أحتفظ به، هو صورة جماعية، التقطت لنا ونحن في التعليم الأولي. سني أظنه، لم يكن يتجاوز الخامسة، ههههها.. الذي يثيرني دائما في هذه الصورة بالذات، هو الحذاء. كان باديا تماما أنه خضع لمحنة شديدة. كنت ألعب الكرة كثيرا.ولم يكن عندي حذاء خاص بالرياضة. كنت ألعب بالحذاء ذاته الذي أذهب به إلى المدرسة وإلى جميع المناسبات. لم أحتفظ بالدفاتر المدرسية. كنت أشارك في كرنفال التمزيق في نهاية السنة الدراسية.

□□□□□

طلب مني أن أذكره باسم أحد الأصدقاء الأدباء. ولكي يساعدني على التذكر. استحضر عناوين بعض مؤلفاته. لا أعرف الغرض من إلحاحه على تذكر هذا الأديب. وقبل أن أذكر له اسمه، سارع إلى القول:
هذا الأديب توقف عن الكتابة والنشر، منذ اليوم الذي اكتشف فيه أن كتاباته يلف فيها الحمص والزريعة. وصار يكتفي بإلقاء أفكاره شفاهيا. ولكن هناك سببا آخر جعله يعزف عن الكتابة، هو أن أصحاب هذه الحوانيت، أغلبيتهم سود. وهو على ما يبدو، عنصري ولا يرضى أن أسود، يتعسف على كتاباته، خصوصا أن هذه الكتابات، هي نتاج أدبي وفكري، سهر عليها الأيام والليالي، وليست كلاما عاديا.

> اعترف لي بأنه لم يكن يتجرأ على عبور الطريق لوحده. لم أفهم ما يقصده بذلك، كما أنني لم أدر المناسبة التي جعلته يستحضر هذا الجانب من حياته بالضبط.

□□□□□

ندما يسكر. يحلو له الحديث عن طفولته. يعتبر الطفولة، منبعا لا يعرف النضوب. طلب قنينة أخرى، وواصل كلامه:
الممارسة التي لم أكن أفهم لماذا كنا نقوم بها، ونحن أطفال، هي أننا كنا ننبش الأرض ونضع نملة فوقها ونغطيها بقطعة من الزجاج، ونظل نتفرج عليها، ونختلق الحكايات، كل واحد منا يتخيل حكاية ويحكيها، وهي مستوحاة من نظرته إلى النملة تحت قطعة الزجاج.

□□□□□

من الحديث عن المشمش إلى الحديث عن النملة. لا أعرف ما هو الشيء الذي لم يتحدث عنه بعد. يبدو لي مع ذلك أنه صادق في كلامه.
لا يتردد أحيانا في قول كلام يسيء إلى ذاته، تركته يسترسل:
كنا مشدودين إلى الكائنات الحيوانية، خصوصا منها الضعيفة، والتي لا حول لها ولا قوة. وكان هذا الانشداد إليها والسعي إلى الاحتكاك بها، هو فرض سيطرتنا واستبدادنا؛ لأننا نحن بدورنا كنا صغارا وضعافا. وعندما لم تكن المباني قد زحفت بعد على الطبيعة التي كانت تحيط بأحيائنا، كانت الريح تحمل إلينا مجموعة نادرة من الحشرات: الجعل، الصرار، وحشرة أخرى كنا نسميها الطاكسي، ههههها؛ لأنها كانت ذات لون أحمر شبيه بلون سيارات الأجرة.

نحن نجهل أسماء الكائنات الحيوانية والنباتات؛ لأن التعليم المدرسي لا يعنى بتلقين هذه الأمور. كنا نمسك الجعل ونضعه على بقعة أرضية ساخنة، رغبة منا في دفعه إلى الطيران، يا لها من طريقة سادية للحث على الطيران..

□□□□□

لم أعد أقوى على التركيز بشكل جيد على ما يبوح به. بدأ التعب يدب في أوصالي، وكان هو قد شرب كثيرا، وربما قد لا يقوى على الوقوف والمشي، وكان عليه أن يقود سيارته بنفسه. ألححت عليه أن يكف عن الشرب، وأن يذهب عند أولاده؛ فلا شك أنهم قلقون عليه.

قصص قصيرة جداً

ماء الحكاية

إسماعيل البويحياوي
قاص من المغرب

1. تشكيل

في صالة العرض لوحة ضخمة. سماؤها طائرات، وأرضها دبابات. يقترب الزوار. يرشقون بنظرة غضب. يقلق الجنود. يخرجون من اللوحة، ويهجمون. تغرق القاعة في الجثث. يحبو الرسام، يلتقط الأصابع، يغمسها في الدم، ويرسم : و ي ر س م.

2. لْكُرْحَة

تحلقنا برأس الدرب، وأخرجنا "كَيَّة لْكِيَّات" من صدورنا. حففنا المارة و"فوجوا" معنا. وكب الشارع على الشارع. عشرات الأجيال، وملايين الأصوات تعطو بعبق الأرض. مكاوي، إمام، الغيوان، مارسيل، محمود وجوليا يحبكون حروف قصيصتي ويُهللون:
الأرض بتتكلم عربي. الأرض، الأرض، الأرض.

3. أبو العز

يغرف من دواخله، يقدح جسده ويرقص في اللهب. نتدافع إليه، فيهجم إطفائيو النظام ويسددون خراطيمهم علينا. نسقط. نقف. نحمل بعضنا ونجري نقبس من جسده. نشتعل. نتهادى البهجة. المحيط والفرات والنيل أمواج نار. يستعر الطقس ويحلو الاحتراق، فالكراسي جمر وألسنة الشواظ تلتهم عنان السماء.

4 ـ ماء قصصي

تصعد المنصة، فيسكتون ويبتلعك الصمت حتى الصالة بحر وأعين مستمعيك سحائب ضخمة تتقاطر عليك. ندف وخيوط ماء تتدلى من السقف. تتدلى منك، ومن أصابعك. ورقتك مبتلة، وحروفك منحلة. كنت تنتظر شخصياتك تسبح في نهر أحداثها وتمضي. ترتجف. تجري وراءها على سطح منصتك القصصية العائمة. كنت ومستمعيك في بحر القاعة تتراشفون ماء الحكاية.

من ملف القصة القصيرة في المغرب

عناق

لطيفة لبصير

قاصة من المغرب

بالخارج تتدلى النباتات البرية التي أحضرتها من السيدة المجاورة. كانت الألياف تنحني على بعضها محدثة عناقا غريبا، بحيث أنني عمدت إلى مسح تويجاتها الصغيرة من الغبار الخفيف، لكنها استعصت. كانت كمن يرغب في أن يحتفظ بذلك الغبار ولا يقبل أية إضافة تغير من طبيعته الأولى.

كان ذلك عصرا، وكنت أنوي أن أثني على فستان جارتي البرتقالي الذي يحمل دوائر بيضاء. طرقت الباب، وشرعت أنظر بعيني المنقبتين إلى داخل المنزل وأركانه وكأنني أبحث عن حل للغزها الذي لم ينفك إلى الآن، كانت تنظر نظرات عادية تماما، وكمن يعدم الكلام رغم ما هيأته منه منذ ليلة البارحة، لم أجد متكأ سوى امتداح أصيص الأزهار المتوحش، فأهدته لي على الفور، وأضافت بصوتها الأنثوي الجميل:

- يمكنني أن أهيئ لك أصيصا آخر للنباتات التي أحتفظ بها في الداخل...يمكنك الدخول..

- طبعا...

- إنها هنا..

كانت عيناي تمسحان المنزل من ألفه إلى يائه. منزل غريب، يجمع ذوقين مختلفين، مناديل حمراء مرتبة فوق موائد صغيرة، ودببة بنية وبيضاء، ودمى بأشكال مختلفة، وأزهار وردية اللون، إلى جوار كركدن وثعابين محنطة وقرون خرفان وثيران في وضعيات جعلتها كما لو أنها تطل من كل جدار... شيء ما في هذه القسوة المغلفة بالجمال. أحضرت قهوة سوداء، وقالت:

- هل أعجبك بيتي؟

- نعم، أشعر بنوع من التمازج الجميل بين الرقة والعنف، رغم أنني لم أتوقع أن تكون لك أذواق مختلفة...

- أحب ذلك، أشعر بأن الطبيعة تصنعها أقدار مختلفة...

- نعم، هي كذلك.

شربت قهوتي وأنا أنظر إلى فستانها الذي انحسر عن جانب من ركبتيها الجميلتين، ودون أن أشعر رأيت نفسي أرتشف القهوة بلذة غريبة وكأنني كنت أمتشق ركبتيها إلى...

- هل تقيم لوحدك في البيت؟

- نعم، تستطيعين زيارتي متى شئت.

- أجل، سأفعل...

لم أكن أريد لتلك القهوة أن تنتهي، ولكنني شعرت بأنني لم أعد أجد لغة أخرى لأحدثها بها، كنت أعانقها بعيني فقط، وكانت تبدو شكلا جميلا، عذبا، يفيض رقة لا تنتهي...

في الليل كتبت لها أوراقا صغيرة ووضعتها بجانبي وأنا أرتشف كأس شاي لذيذ. كنت أراها أمامي وأرغب في عناقها فقط، لم أكن أريد شيئا آخر... بعد أيام قرأت لها حملتها الصحفية عن الشواذ في المجتمع، كان قلمها مخيفا. لماذا كانت تبحث في حياة الشواذ، وتقيم رحلة مع حيوات المثليات، ومعاناتهن مع الأسر والمجتمع؟

كان ذلك عنيفا ومربكا أفقدني طمأنينتي وهدوئي. ولجت بيتها الهادئ ودعوتها إلى العشاء في بيتي، وافقت على الفور، وفي المساء كنت هيأت لها مكانها البديع لتستقر بكامل أنوثتها الحمراء. كنت أشعر في تلك اللحظة أنني أرغب في معانقتها عناقا أبديا، فقد بدت وكأنها قطعة من المكان. كانت كؤوس حمراء تحيط بنا، وكنا ننظر إلى بعضنا بنوع من الألفة والوقار. كانت ترتدي فستانا بنفسجيا، وفوق عنقها النحيف استقر عقد بحبات سوداء تتلألأ مع لون الكؤوس.

كانت أنوثة كاملة.

لم أشعر إلا وأنا أدقق النظر في الحبات، حتى رأيتها تنتفض قليلا لتغير من جلستها وكأنني أزعجتها بنظراتي. كنت أريد أن أقول لها إنني أعانقها بعيني فقط، وأنني لا أتجاوز ذلك إلى غيره، المهم ليس الآن على الأقل، ولكنني وجدتني أسأل:

- ما سر اهتمامك بالشذوذ الجنسي؟

نظرت إلي بنوع من العتاب، ثم قالت:

- إنه موضوع صحفي أهتم به من حين إلى آخر، وأحاول أن أضيئه من كل الجوانب...

- ولكنه قد يكون مصدر إزعاج لك...إنه موضوع حساس...

- الصحافة مهنة البحث عن المتاعب...المهم أننا نثيره كموضوع للنقاش...

- لاحظت أنك نقلت العديد من حوارات المثليات، هل قابلتهن شخصيا؟

أضافت كأسا آخر من النبيذ، وقد علتها حمرة خفيفة، ثم قالت:

- نعم، التقيت بهن، وحاولت أن أنقل وجهة نظرهن حول اختلافهن، حول رغبتهن في النساء وليس الرجال...

- وهل تصدقين ذلك؟

- نعم، الاختلاف موجود وينبغي أن نؤمن به...

- في الحقيقة، أنا لا أؤمن به، وأرى أن الإنسان يريد أن يجرب أي شيء...

- أنت نحات وإنسان متحضر، ولديك هذا التصور، ماذا تركت لعامة المجتمع؟

- الطبيعة الرائعة هي عناق رجل وامرأة، وليس عناقا من نفس الجنس، تشعرين بشيء ما خارج العادة...

- إنه اعتياد فقط...

- هل سبق أن رأيت لوحة "عناق" للفنان البولندي بيشينيسكي، كانت تعكس بالفعل العناق الأبدي بين رجل وامرأة، تلاحم هيكلين عظميين يفوق اعتبار الزمن ويمنح للجمال طبيعته الأولى، لو كانا من نفس الجنس لما شعرنا بجمالية اللوحة؟

- سبق أن رأيت هذه اللوحة، رغم أنها لا تعكس بالفعل ذلك التصور، فنحن لا نستطيع أن نعرف إن كان عناقا إلى حد الموت، أو عناق العظام معا... الفن لا حدود له...إنها رؤية خاصة، ويمكن أن تكون هناك رؤى متعددة...

- يمكن أن تكون هناك رؤى متعددة، لكن الشيء الطبيعي هو تلاحم جوهرين مختلفين حتى العظام تتمازج في اختلافها، ويحتوي أحدها الآخر... كنت أتحدث بلا نهاية لكنني شعرت بضيقها قليلا، وخفت أن تنهي الجلسة الجميلة، فارتميت على الزجاجة وملأت لها كأسا أخرى حتى تجدد الإقامة أمام عيني، فهي أمامي تحدث عناقا غريبا، لا أريده أن ينفك. كان الوقت يهرب لحظة لحظة، وكأن اللحظة الجميلة انتهت، قامت ونظرت إلي نظرة هادئة،

عناقٌ بسيطٌ يكفي ليرقّ قلبنا؛
يُرحِّبُ بنا ويجعل الحياة أقل وطأة علينا.
العناق طريقة أخرى نتقاسم بها الأفراح، والأتراح التي قد تحل بنا.
العناق أسلوب التعبير لأصدقائنا
عن حُبنا لهم، وعن جميل عنايتنا؛
لأن العناق وُجد كيْ يُعطَى لَمحبوبينا.

ثم قالت:

- يبدو أننا لم نشعر بأن الوقت يمر، أشكرك على العشاء الجميل...

وأنا أقبل يدها دون أن تكون تلك عادتي مع النساء، قلت لها:

- وأنا أيضا...رغبت ألا ينتهي الزمن...

في غيابها، جلست في مكاني لأعانقها وكأنها ما زالت هناك، ثم أحسست أنني أخذت جرعة إضافية من زمن التقارب، فبعثت إليها رسالة إلكترونية و قلت لها:

جارتي الأنيقة، كنت رائعة في حضورك هذا المساء، أبعث إليك هذه القصيدة للشاعر ماريو بينيذيتّي، وأحييك على اللحظات التي اقتسمناها معا:

عناق 1

عناقٌ بسيطٌ يكفي ليرقّ قلبنا؛
يُرحِّبُ بنا ويجعل الحياة أقل وطأة علينا.
العناق طريقة أخرى نتقاسم بها
الأفراح، والأتراح التي قد تحل بنا.
العناق أسلوب التعبير لأصدقائنا
عن حُبنا لهم، وعن جميل عنايتنا؛
لأن العناق وُجد كيْ يُعطَى لَمحبوبينا.
العناق شيء عظيم؛
أفصحُ وسيلة للإعراب عن حُبنا
حين لا نجد الكلمة الوفية لنقل شعورنا.
إنه شيء رائع: عناقٌ واحد بوافر الحنان
يكفي لإسعاد مَن يتلقاه، أياً كان المكان أو اللسان،
لأنه مفهوم لدى الإنسان في العالمينا.
لهذه الأسباب ولأخرى كثيرة...
أبعثُ لك اليوم أحَر عناق يا أحبَ المخلوقينا.

كنت أشعر بأنني طرت قليلا فوق السحاب، لكنني كنت أشعر بأنني لست في حاجة إلى أن أنتظر كثيرا، و بأنني أريد أن أعانقها قليلا، وبقيت أنتظر الرد. ومع أنني أعرف بأن عادة الصحافيين أنهم يستطلعون رسائلهم الالكترونية قبل النوم، فقد حاولت أن أجيب عن السؤال الذي طرحته على نفسي، بأنها كانت متعبة... في مساء اليوم التالي جاءتني رسالة مقتضبة:

"عزيزي، أشكرك على القصيدة الجميلة، فعلا إنها دعوة للحب الإنساني، مساؤك سعيد".

لم يف الرد بشيء ما، بل انتهى هناك. وكأن جارتي أوقفت الرد، بعد أيام قليلة فقط، اشتريت الجريدة لأجد موضوعا عريضا باسمها يحمل عنوان: عناق.

خبأت الجريدة، وهربت إلى البيت، وكأنني أداري خجلي من اعترافها بالحب أمام الكل. هذه المرأة تملك من الجرأة ما يكفي لجعلي أرقص من الفرح. ولجت بيتي بكثير من الفرح، وملأت كأسا من النبيذ وبحثت عن الموضوع الأنيق:"عناق" ، وبدأت أقرأ...لا شك أنني أخطأت الموضوع، لا يمكن أن يحدث ذلك، قرأت الموضوع، فتلاشى فرحي تماما. جارتي حملت القصيدة إلى موضوع لا يهمني، وقالت لكل الآخرين أنها ترغب في عناق لكل اختلاف بشري، بأن نحترم كل الاختلافات الإنسانية، لأنها شخصية، ولا ينبغي المساس بها، ومنها حياة الشواذ الجنسيين. إنهم يحيون حياتهم الطبيعية، ولا يمكنهم تغيير ما بذواتهم، وينبغي قبول اختلافهم، وأن نعانق رغباتهم بدون ضجيج. رميت الجريدة، وقلت لنفسي: لماذا تتحول القصيدة التي أرسلتها إليها إلى مادة لعناق الآخرين؟ وليس إلى عناقي أنا؟

قصدت بيتها وطرقت بابها وأنا أرتجف من شدة الغضب، كنت أريد أن أهشم رأسها، ولكنها حين أطلت، كنت قد تهاويت قليلا، ورغبت من جديد في عناقها، استقبلتني بابتسامة عريضة، وقبل أن أقول أي شيء، قالت:

- غريب، كنت سأزورك للتو، لقد كتبت موضوعا استوحيته من القصيدة التي أرسلتها إليّ...

أجبت وأنا أكتم غيظي:

- نعم، قرأته...

- وما رأيك؟

- قصيدة موحية جدا... ولكنني أرسلتها إليك أنت...أردت أن أعبر لك عن رغبتي في حبك...

نظرت إلي وقالت وكأنها تعيد الأشياء إلى نظامها العادي:

- أنا أيضا أحبك، فقصيدتك لا تعني عناق شخصين فقط، بل هو عناق لكل الناس...

اقتربت منها أكثر، وأمسكت بها، ثم بدون أن أنتظر ردة فعلها، عانقتها عناقا قويا، وأحسست وكأنني قد ولدت من جديد في تلك اللحظة، لم تبعدني ولم تغضب ولم تصفعني كما يحدث في الأفلام المصرية القديمة، لكنها قالت بهدوء:

- هل تريد قهوة سوداء؟

- أنت تهربين مني؟

أمسكت بها من جديد وكأنني أستعيد ولادتي ثم قلت لها:

- ألا تشعرين بحبي؟

نظرت إلي وقالت وهي تواري نظراتها الخجولة:

- لا أستطيع أن أبادلك نفس الأحاسيس...

انتفضت دون أن أدري، وسألتها:

- لماذا؟ هل تحبين رجلا آخر، إذا لماذا قبلت دعوتي إلى العشاء...

- ألا يمكن أن أتبادل معك لحظة دون أن تكون حبيبا لي، إنك صديقي... وحتى القصيدة التي أرسلتها إليّ تتحدث عن الحب الإنساني، أليس كذلك؟ ليس للحب حدود؟ هذا ما فهمته منك...

- ألا يمكن أن أحبك أنت؟

ارتبكت كثيرا، وارتعشت وأنا أهم بمعانقتها مرة أخرى، وقالت وهي تبعدني بلباقة:

- أرجوك...لا يمكن أن نفعل ذلك...

وكأنني صرت زوجها: هل لديك صديق؟

وهي تنظر مباشرة في عيني، قالت:

- لدي صديقة... أقصد لدي خليلة...أرجو ألا تبحث أكثر...

أصبت برعب حقيقي:

- خليلة ؟ لماذا ؟ ما الذي ينقصك لكي تختاري خليلة ؟

- إنه اختيار، ينبغي أن تحترم رغبتي، فأنا أحب معاشرة النساء...

نظرت إليها بغضب حقيقي، وصرخت في وجهها:

- كل هذه الأنوثة من أجل امرأة مثلك، هذه الأنوثة في حاجة إلى رجل يعانقها وليس إلى امرأة...أنوثتك "تكفي لأكثر من رجل" وتهبينها لامرأة أخرى؟

- إنها حياتي...أرجو أن تحترمها...

جلست بعد أن لم تعد قدماي تقويان على حملي من شدة المفاجأة، وعبرت ذهني لمعات ذكرتني بما مضى... اهتمامها المبالغ بالشواذ... حملتها الصحفية... غموضها الذي لم أفهمه.

نظرت إليها بحزن، قالت بهدوء:

- أرجو أن تفهمني، إنها أحاسيس...

قلت لها وأنا أنظر إلى أنوثتها الجميلة:

- وأحاسيسي - أرجو أن تختلفي من أجلي أنا...

- لا أستطيع يا صديقي...

- غريب أمرك... تنفرين من الطبيعة وتتمسكين بـ ...

- هذا يتوقف على مفهوم الطبيعة لدى كل واحد منا...

- في تصوري كل شيء يخرج عن طبيعته يتحول إلى لعنة...

لفظت هذه الجملة الأخيرة وأنا أعلم أنني سوف أخدش مشاعرها، ولكن رغم ذلك وقبل أن أهم بمغادرتها، عانقتها عناقا بطعم مختلف، كنت أشعر في تلك اللحظة بأنها تنتمي إلى جنس آخر، وبأنني لا ينبغي أن أعانقها كأنثى...

1 ترجمة الدكتور إسماعيل العثماني

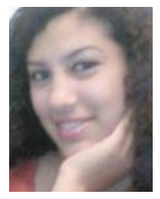

الزمان - السنة الخامسة عشرة - العدد 4449- الثلاثاء 29 من ربيع الثاني 1434 هـ 12 من آذار (مارس) 2013م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vo1/15. UK. Issue 4449 Tuesday 12/3/2013

من ملف القصة القصيرة في المغرب

أركانة الحمقاء

خديجة المسعودي
قاصة من المغرب

مقوسة الظهر تجرني الريح نحوها. بحذر أجلس على حجرها اليابس وأتأمل نهودها الخضراءَ شامخةً تتفاخر أمام السمراء التي أسقطها الزمن عند قدميها. يسيجها سور "مقبرة الرحمة" ولا تؤنسها سوى أحجار كتبت عليها أسماء آدمية. أريجها يؤثر فى كل شيء من حولها. أتخيله يبعث أرواح الموتى فوق غصونها ويحلق بهم حيث يشاءون ولا يشاءون. مرة يضحكون ومرات يبكون. تختلس فروع الأركَانة النظر إلى ما وراء السور، وغالبا ما كانت تنسى مكان جذورها. أتحسس بأصابع شوهت الأيام شكلها وأبحث عن ذلك الوشم القديم. نقشناه في جذعها الغليظ زاعمين تخليده.

كل شيء فينا يهرب من كل شيء إليها، لنستند جذعها ونحتمي بظلها ثم نعد شوك أغصانها بعد أن يجد كلانا ضالته، سحر السكون والكثير من الراحة. ومن يجد أكثر عدد من الشوك يكون الدور عليه. متأكدين أن لا أحد سيزعجنا، لأن الخوف يسيطر على الجميع. الكل يهاب الموتى ونحن نهاب الأحياء. نهرب إلى شجرة الأركان دون مواعيد سابقة. إما أن أجده هناك وإما أن يجدني. محملة بقنينة ماء وخبز دُهن بالسمن والعسل، وذاكرة من الأحلام. ليلنا الطويل ينسج ساعات من الحكي تحت ظل الأركَانة، على طريقة روي الجدات للأحجيات، نُعوضُ الأحجار وما تحمله من أرواح و تراب وحبات أركان لم تنضج إلا لتسقط بجانبنا. حكايات ليل لن يسمعها غيرهم. عند نهاية حكينا غالبا ما كان يفترش التراب ويتوسد فخدي، يدندن ألحانا بمقام الصبا وأناملي نايات وهمية ترافق كلماته غير الكاملة بانسجام. يصمت بعض الوقت ويسألني شاردا:

– لم شجرة الأركان هذه يتيمة في هذه المقبرة؟

– ربما تهرب من باقي الأركانات كما نهرب نحن من باقي البشر.

– ترى من يعتني بها ويروي عطشها لتظل صامدة بهذه القوة وهذا الشموخ؟

– ربما دموع الموتى.

– ترى من سيأتي ليروي الحكايات لنا بعد أن ندفن هنا؟

– ربما... لن ندفن كالجميع، لأننا لسنا كالجميع. ربما الأموات ليسوا كما نعتقد. ربما يعيشون حياة أخرى مختلفة لا أكثر. قد تكون أفضل من حياتنا هذه ويضحكون على حالنا بينما نحن نبكيهم.

على حِجر شجرة الأركان، يتكوم خوف كلانا من عالم الأحياء. نمتعض كلما اقترب وقت العودة، نتوسل الكواكب التوقف عن الدوران وأن تعفينا من ليل المستيقظين. لا شيء يتوقف، كل شيء يدور، الكل سائر، ونحن حيث نحن لا نريد أن نترك بعضنا، روحان متلاحمتان، عيون زادها لون الغسق سحرا وأصابع متشابكة. كل شيء يتلألأ حبا. متوسدين رأس بعضنا على جذع شجرة الأركان، سمعت حس أحدهم يقترب. نهضت بسرعة وأخرجت سكينا من سلة الخبز والتقطت أحجارا في يدي الأخرى. زاد اقتراب حس الغريب، ما إن لمحني حتى عدا هاربا يسمي الرحمان الرحيم ويتعوذ بالله من الشيطان الرجيم. لا أحد يحتضن حبنا دون لوم أو عتاب غير حجر شجرة الأركَان، الكل يدعوها شجرة الموتى ونحن ندعوها شجرة الحب. التفت ببطء إليَّ وقال بنبرة حزينة:

- غابت الشمس، هل حان موعد رحيلك؟
- ليس بعد، أريد أن أقضي معك المزيد من الوقت. لا أريد أن أتركك.
ضمني إليه بقوة وأنفاسه الحارة على رقبتي أشعلت لهيبا بداخلي، همس في أذني بهدوء:

– غابت الشمس، هل حان موعد رحيلك؟

– ليس بعد، أريد أن أقضي معك المزيد من الوقت. لا أريد أن أتركك.

ضمني إليه بقوة وأنفاسه الحارة على رقبتي أشعلت لهيبا بداخلي، همس في أذني بهدوء:

– أعلم أنه حان وقت رحيلك ورحيلي، فهكذا يسرقنا الغروب من بعضنا. سأنتظرك غدا فلا تتأخري.

– قد يسرقنا الغروب منا. لكن حب أرواحنا قوي صامد كشجرة الأركان هذه. سأنقش قلبي على جذعها ليؤنسك ليلا. وفي الصباح الباكر قبل أن تستيقظ سأكون هنا.

تناولت حجرا ورحت أرسم قلبي بحماس. أخذ حجرا هو الآخر وراح يرسم ويقول: وهذا قلبي سيخلد هنا. استأنسي به ما لم تجديني.

حواسي المشوهة مازالت تبحث عن وشم الحب وبصري الضعيف يقاوم العمى. أدور حول جذع الأركانة مستندة عكازي والكثير من الذكريات. أمرر يدي فوق الجذع الخشن، وشم الحب مازال هاربا وحواسي لا تعرف اليأس. أتنهد بعمق بعدما حطت أصابعي عليه، ها قد عثرت عليه أخيرا. بدا الوشم باليا، مختلفا. كان قلبا واحدا لا شريك له. يرتعش العكاز وأهوي أرضا وكل الصور تتراقص أمامي.

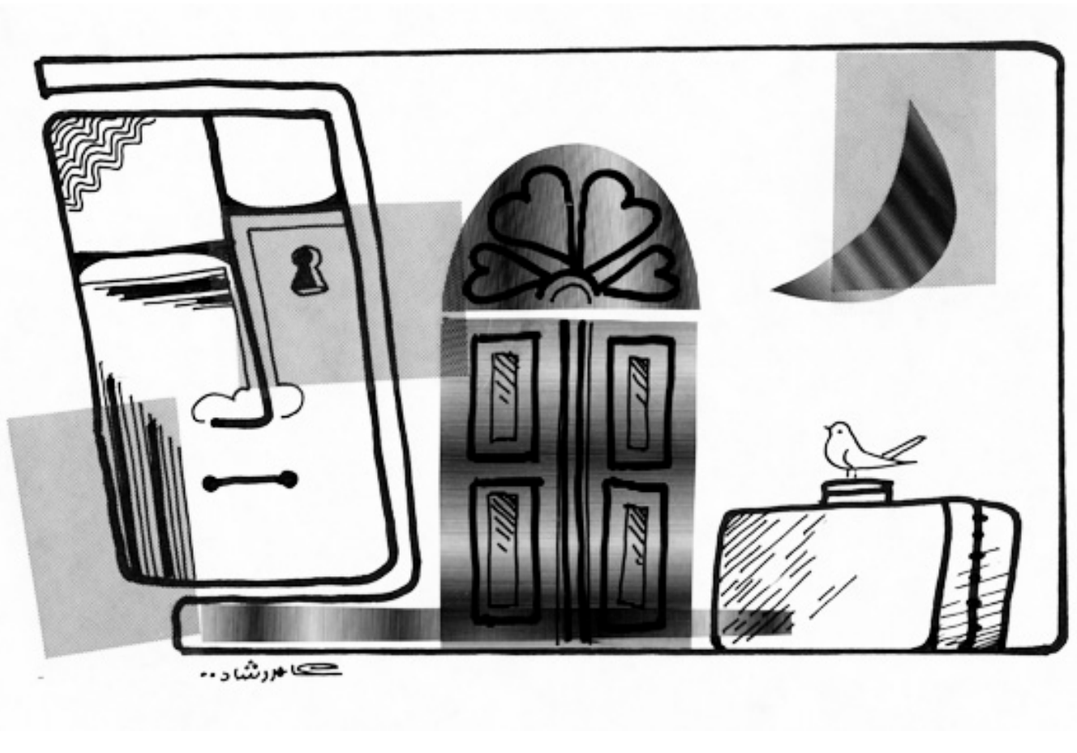

رحلة قنص أخيرة

حميد ركاطة
قاص من المغرب

وهو ملقى على سرير الموت، كانت أمنيته أن يطلق عيارات أخيرة من بندقيته الجديدة التي كان قد اشتراها بثمن باهظ جدا، لكن المرض لم يسعفه ولم يمهله فرصة لتجريبها ،ظل ينظر إلى بريق لمعانها ويداه جامدتان ثقيلتان لا تقويان على الحركة، انسابت دموع دافئة من عينيه وانطلق صوت حسراته عاليا ليكسر رتابة الصمت والألم اللذان يلفانه ويقضان مضجعه، شعر بحرارة تغزو بدنه العليل وبالألم يدب شيئا فشيئا في حناياه استسلم في يأس أحس بأنهم جميعا - أبناؤه، زوجته الثانية، أولاده، خدمه وأصدقاؤه - خانوه وتخلوا عنه، بل تخلصوا منه في وقت واحد طمعا في الحصول على بوليصة التأمين، كان يشعر بالغيظ والغبن والاحتقار، لم يستسغ النهاية المؤلمة ولا التخاذل الذي مورس بحقه من طرف الجميع.

تنحى ببصره ناحية النافذة التي كان النسيم يتلاعب بستائرها، يدغدغه تارة ويداعبه تارة أخرى،أثار انتباهه شيء ما كان متدليا وراء الستارة يتحرك يمنة ويسرة، يسحب الرداء إلى الأسفل يعيق الحركة العجيبة، حاول النهوض، حاول الصراخ والبكاء بأعلى صوته لكنه كان عاجزا بشكل مطلق.

تسمرت عيناه وهدأت حركته، ترك حواسه ترشده نحو طريد ته المحتملة ، يتساءل عن ماهيتها شكلها انتابه الخوف لأن يديه فارغتان من السلاح ود في التراجع عن مغامرته الجديدة لكن شيئا ما كان يدفعه إلى الاستمرار في ملاحقتها، الاستسلام ليس من شيمه أحس بقوة تدفعه إلى المطاردة والاستمرار في الترقب ، فلاح له خيال فريد يتسحب يمنة ويسرة بسرعة خاطفة، اعتقد في البداية إنها مجرد ظلال لا أقل ولا أكثر لكن حرصه الشديد على فك اللغز قاده إلى حقيقة أخرى الظلال لا تتحرك في كل الاتجاهات ترى ما هو هذا الشيء الغريب الذي يتجول في الغرفة المحظورة على الجميع هب الريح بقوة فتعالت الستارة إلى الأعلى مطوحة بالشبح الأسود الذي ترامى على باب صوان صغير محدثا دويا صاخبا فلاحظ الرجل القط الضخم وهو يحاول الهروب من الغرفة من نفس المكان الذي قدم منه نط عاليا فسحب الستارة من جديد فأصاب البندقية التي سقطت بدورها على الأرض وانطلق من فوهاتها عيار طائش أصاب القط وألقاه صريعا، صرخ المريض وتعالى بكاؤه التف حوله أولاده ومن كان معهم بالمنزل بسرعة، فوجدوه ملقى على حافة السرير يمسح بيديه رأس القط المسكين وهو مدرج في دمائه، أمسك بالبندقية وألقى بها من النافذة فسمع انطلاق عيارات أخرى في الخارج...أسرع كل من كان بالغرفة نحو النافذة فنهض الرجل وحمل القط المسكين وهو في حالة أسف وأسى شديدين، تمنى لو أن أمنيته في رحلة قنص أخيرة لم يتحقق متناسيا أنها أعادته إلى حالته الطبيعية.

انتبهوا إلى كون أبيهم شفي فجأة من شلله ظلوا صامتين للحظة ثم قرروا اغتياله بنفس البندقية...

قصة قصيرة جداً

إعادة

منى وفيق
قاصة من المغرب

عزيزي هانس كريستيان أندرسن،

هل كان من المُفترض، وبعد رضاي عمّ اخترتَه لي من خاتمة، أن لا أسرّب الجزئيّة الأخيرة من قصّة "بائعة الكبريت" كما اتّفقنا؟

لم نختلف كثيرا في كونها قصّتك ربيعا وخريفا وصيفا كما لعلّك تتذكّر. وقصّتي أنا كلّ شتاء كما لن تنكر.هذا يعطيني الحقّ في تأكيد ما كان مشاعا حول نهايتها.لستُ وفيّة إلاّ لأعواد الكبريت، ولا تفكِّرْ في أن تعذرني لأنّني و الأزرارَ لن نبحث لك عن أيّ مبرّر غير ذلك الذي فطنّا له.

قبل أن تقتلني في آخر القصّة كانت هناك علبة كبريت أخرى بها عود كبريت واحد.احتفظت بها وأشعلتها. أتدري مالذي حصل بعدها؟

مِن شعلة الكبريت نطّ لي كوازيمودو وجونبلان ابنا فيكتور هوجو بالرّواية. كانا يحملان سلّتين مليئتين عن آخرهما بالأزرار. قالا أنّ هوجو كان بخيلا معهما. كوازيمودو لم يكن أحدبا ولا ذميما. أكاد أجزم أنّه لم يكن كذلك يوما. كان منتصب القامة ومليحا يفاخر بحبيبته الغجريّة إزميرالدا ومباركة الأسقف الّذي ثَبُتَ أنّه لم يمت برغم رمي كوازيمودو له من على سطح الكاتدرائيّة.أمّا جونبلان فلم يعد ذلك الضّاحك الباكي مشوّه الفم، بل كانت قسمات وجهه متناسقة وفيِه كرزيّاً .يحمل معه وجوه أطفال مُثِّل بهم علَى ما يبدو. كان يكلّمني وهو يرتق أطراف العيون، الأفواه، الأنوف والآذان فيجعلها أفضل ممّا كانت عليه قبل أن يشوّهها المجرمون السّبعة.

لا تستغرب الأمر. يقول كوازيمودو و جونبلان أنّ هوجو لم ينتبه إلى كون الجلد الّذي خاطه قُمصاناً أو غطاءً لأجساد أبطال قصصه عريضٌ أكثر ممّا يجب. الغالبَ أنّه كان شحّيحاَ فيما يخصّ إمدادها بالأزرار الّتي تُقَوِّم كلّ تشويه وتمنع الآلام الّتي يسببّها اللّمس والتماسّ.

لا تتعب نفسك في التّفكير. كوازيمودو وجونبلان نفسُهما من خاطا الأزرار لجسديهما، قد خاطا الأزرار ذاتَها لجِسدِ هوجو.

عزيزي هانس كريستيان أندرسن،

يقول كوازيمودو و جونبلان أنّني سأجد علب كبريت أخرى إذا خطتُ هذه الأزرار لجسدك. لا يهمنّك. بدأت هذا فعلا من أوّل حديثي معك.و أنهيه الآن. هو ذا آخر زرّ.

بائعة الكبريت

—

× "هانس كريستيان أندرسن": كاتب دانماركيّ مشهور لقصص و روايات الأطفال في العالم.

× " بائعة الكبريت": قصّة شهيرة لهانس كريستيان أندرسن.

× "فكتور هوجو": أمير الشّعر الفرنسيّ وأحد أعمدة الأدب الفرنسيّ في القرن التاسع عشر.

× " أحدب نوتردام" "الضّاحك الباكي": روايتان شهيرتان للكاتب الفرنسيّ فيكتور هوجو.

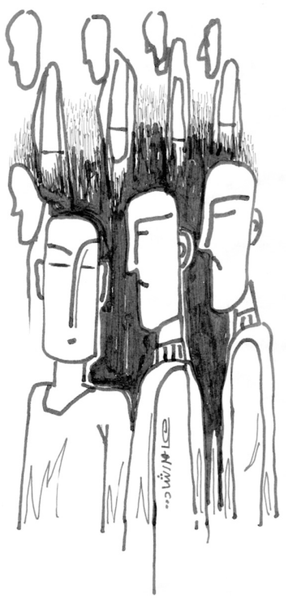

مستشفى الأمراض العقلية

حنان درقاوي

قاصة من المغرب -تقيم في فرنسا

العاشرة ليلا.. نقف في طابور الادوية ، ينتهي اليوم بالمستشفى بعد حصة الادوية المسائية، ينصرف اغلب النزلاء الى النوم فيما ينصرف الباقي الى الحديقة نحيط بالمائدة الطويلة، ندخن سجائر لاتنتهي ونتبادل مخاوفنا كما يتبادل العشاق القبل،

كريستين كانت الاولى في الطابور، حقنتها الممرضة في العضد بحقنة تيرسيان وهو دواء يساعد على استقرار اعراض الشيزوفرينيا التي تعاني منها، كريستي...ن مجازة في الفيزياء ومرضها انفجر بشكل فجائي في اخر سنة جامعية، بدات تسمع اصواتا غريبة تدفعها الى ضرب الاخرين وتكسير الكراسي وحين اعتدت على استاذ الدروس التطبيقية قالت انه كان يمسك سكينا ويتقدم نحوها، دافعت عن نفسها ورمت بمواد حارقة تجاهه وقلبت طاولات المختبر، اتصلت الجامعة بالمستشفى وبدات كريستين اقاماتها القصيرة والمتوسطة والطويلة في المنقذ الطيب وهو اسم مستشفى الامراض العقلية بمدينة البي، استكملت دراستها في العام الموالي وتحسنت علاقتها بالواقع رويدا رويدا، لم تعد تردد انها ملكة انجليزية لكنها عادت قبل اسبوع وضربت سيدة في الشارع كانت قد اقتربت منها لخنقها حسب ماتحكيهكريستين محذرة ايانا من الناس في الشارع

السيدة وضعت شكوى عند البوليس وتكفلوا بادخال ملكة انجليزية الى مستشفى المجانين، كريستين لاتتوقف عن الكلام والدوران حول نفسها، حين رايتها اول مرة قلت لها

– انت تشبهين ملكة انجليزية

– اخيرا هناك من يوافقني الراي انا ملكة انجليزية من قرون مضت، يبدو انك مجنونة مثلي، هل انت ملكة ايضا؟

– انا سليلة عائلة مجانين اكبرهم الهم قراصنة البحارتخبى كريستين وجهها الجميل باصابعها الدقيقة وتجري في الرواق، لاتتوقف الى ان تبلغ غرفتها وتندفع الى السرير وتغلق الباب على مخاوفها التي تنتظرها في الرواق مع تحية الصباح.

يتقدم حليم وهو شاب قي العشرين من عمره لاحد يعرف مما يعاني وهو نفسه لايعرف، فقط يظل يتحدث عن جزائر لم يرها يوما وعن رغد العيش فيها، لايفهم العربية وينصت للقران على مدار اليوم في هاتفه المحمول، دخل المستشفى اول مرة في سن السابعة عشرة حين غادر المدرسة، امه من اتت به الى المستشفى بعد ان تعارك مع عشيقها، شخصوا له اضطرابا ما واحتفظوابه ذاكرة للمكان ثلاث سنوات، يتناول حبات ريفوتريل وحبات ليكزوميل وهي مهدءات قوية، كل محاولاته للخروج من المستشفى باءت بالفشل فامه تاتي، تلتقي بالطبيبة المشرفة ويتم تمديد فترة اقامته، امه تتصل به كل ساعة ، يكلمها بادب فيما نسمعها تزعق من الجهة الاخرى، قبل اسبوع حاول قطع شريانه، ذهبوا به للمستعجلات وعاد مع تهديد بالدخول الى جناح مغلق وهي اخطر الاجنحةخذ حليم حباته مذعنا والتفت الي يطلب سيجارة، طلبته ان ينتظرني في الحديقة وامده بها.

انصرف يجر قدميه في حذاه الرياضي البالي وتقدمت الى الممرضة.

ـ لاتحاولي ان تتملصي من تناول الدواء انا اراقبك

ـ فعلتها مرة واحدة ولاداعي لتذكيري

ـ ساذكرك كل يوم والا رفعنا الجرعات

اخذ جبات الزيبريكسا وهو معدل للمزاج وحبات الليكزوميل وهو مهدى وحبة السيروبليكس وهو علاج ضد الاكتاب المزمن الذي نادرا ما اخرج منهاتذكر انهياري الاخير وماقادني هاته المرة الى المستشفى، كان ذلك يوم الثالث من يوليوز، كنت قد هيات كل شيء للذهاب في عطلة الى الفوندي عند مزارعين اصدقاء اسعد بالاقامة ضمنهم شهرا كاملا، اعمال الفلاحة والعناية بالبهائم هو انسب عمل لي،تختفي بالمعول مخاوفي وتتقوى عضلاتي واتوقف عن التدخين وهو ما يريح معدتي المقرحة منذ زمن

يوم الثالث من يوليوز، استيقظت متعبة، شاردة الذهن، لم انم لليلة كاملة بسبب توقفي عن تناول المهدى بعد ان خرجت من اكتئابي وعدت الى انشطتي الاعتيادية منذ شهور، كنت اعرف ان التوقف عن الدواء بشكل فجائي يعرضني لخطر كبير لكني تعبت من كم الادوية التي اتناولها منذ سن الثامنة عشرة

استيقظت صغيرتي وتحادثنا عن غالا الرقص الذي شاركت فيه ليلة الثاني من يوليوز وكانت فيه رائعة، فقدت خلاله الوعي بعد ان استبدت بي حالة من التوجس من خطر قريب لا اعرف مصدره حضر الاسعاف ولم اخبر الطبيب بتوقفي عن تناول الدواء وتركني انصرف لاتمام عرض ابنتي،

هذا التوجس المرض صاحبني منذ طفولتي، ايام الصحون الطائرة وليست الصحون التي تنزل من السماء بل هي صحون ترتفع من المائدة بعناية ابي الموقر لتستقر على رؤوسنا وفي هاته المهمة كان يتناوب بمواظبة مع العم وهو شخص كريه بطبعه، كان ابي مثقفا رفيعا درس في السوربون ورجلا حقيرا في البيت وفي راسي جرح غائر من صحن حساء ساخن استقر على راسي ذات فطور رمضاني لم يكن المثقف قد دخن سيجارته الاولى بعد وكل هذا بسب بقية خمسين درهما تكلفت العمة ماما صاحبة العدسات بالاحتفاظ بها بدل تسليمها لي لاعادتها لابي بعد ان كلفني بان اشتري لها تذكرة حافلة من ميسور الى ميدلت،هناك حيث نرتاح منها قليلا الى ان تعود وتعود المتاعب.

في طفولتي بالواحة لم لكن افهم مايحدث بالبيت ولماذا الزعيق وسر الصحون الطائرة فيما بعد فهمت ان ابي كان كل يوم على اهبة تطليق امي طلقة اخيرة بعد ان طلقها مرتين، امي تخاف ان تعود بنا الى بيت ابيها الغليظ لهذا ندرت للرحمان صمتا طيلة عمرها وانزوت في كآبة تامة وكنت ابكي بطلاقة كلما رأيتها، أعد الصحون المتبقية واحمد الله اننا لن ناكل في القصعة الخزفية فنحن ابناء مفتش تعليم ولنا قدرنا امام الاخرين اما امام ابي فكنا بغالا وناقصي عبقرية وجمال وكنت اشعر بالذنب لماذا لم اكن اجمل ولماذا لم يفهم اخي نظرية الزاوية القائمة وهو في سن الرابعة وسلخه المثقف سلخة لازالت كل العائلة تذكرها

كنت انزوي باكرا في فراشي الخشن واطلب من الله بدعاء حار ان يستيقظ ابي دون مزاج عكر لكن الله لم يكن يسمعني لهذا كرهته باكرا واحببت ابي وهكذا هي القطط تحب خناقها

التوجس المرضي جعلني منعزلة تماما عن العالم الخارجي ولا امتلك اية وسيلة للتواصل الناجح وصرت اطبق فلسفة الصحون الطائرة فاكسر كل ما حولي، مان أوسس شيئا ما حتى اكسره على راسي، اجلس على قمة عالمي مقلوبا مكسورا واشعر بلذة غريبة هي لذة الطفلة المطيعة لوالديها في تنفيذ امر بالفشل

ياسي من اية علامة حب من امي جعلني اسعى الي ان يكرهني الاخرون بدل ان يحبوني ماعدا تلامذتي وطفلتاي والرغبة في الامومة هي الرغبة الوحيدة التي امتلكتها منذ طفولتي لهذا حملت دون زواج في سن الثامنة عشرة وتشبتت بطفلتي، فيما عدا طفلتاي لااستطيع الارتباط باي شخص وحتى حين يكاتبني الجميع اراسلهم بهذيانات كي يبتعدوا خوفا على رؤوسهم من صحون طائرةكنت قد عدت للكتابة رويدا بعد انقطاع خمس سنوات بعد جائزة عربية لم افهم لماذا منحوها لي، لكني انا المخطئة فقد راسلتهم بالمخطوط في احدي لحظات صفائي الذهني النادرة. كنت قد عدت للحياة تقريبا وكونت فرقة مسرح حين عاد الخوف المرضي يحدق بي، شككت في الجميع واستشعرت مؤامرة من رفائيل وهو يحبني حبا لا مثيل له ويحرص علي من الهواء الطائر، صرحت له انني لاحبه واني ارفض خطبته وانتهى الامر.

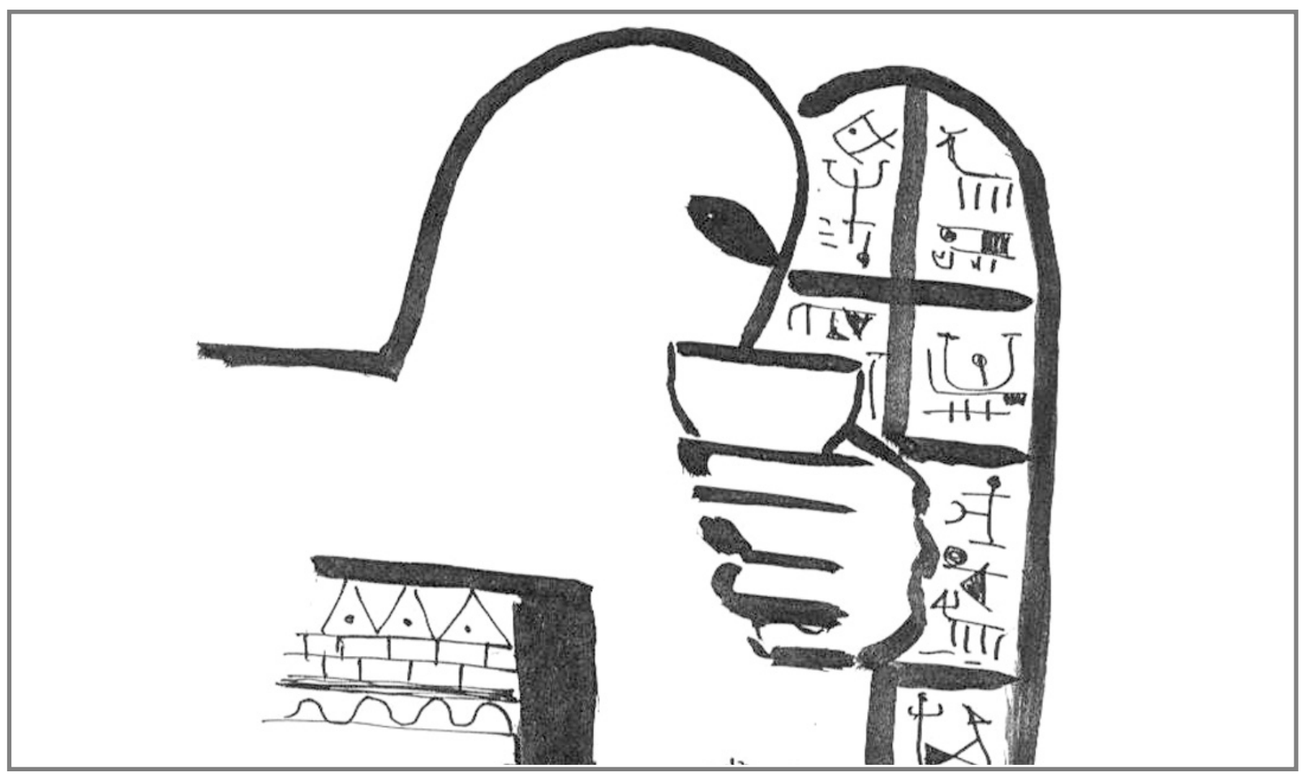

في الثالث من يوليوز اصرت صغيرتي ان نذهب للمنتزه ونتناول طعام الغذاء هناك، رغم التعب لم ارفض، هيات كل شي وارتديت لباسي الرياضي وانطلقنا الى ابعد منتزه مشيا علي الاقدامالمنتزه فارغ من اي مخلوق لكني اسمع اصوات اطفال يلعبون وكلاب خطيرة تقترب من الصغيرة، ضممتها الي وانا انتظر تلك الكلاب الضخمة، الكلاب نفسها التي التهمت صيف 76 رضيع رابحة في الواحة اطلقت سراح الصغيرة وتسلحت بعصا غليظة وذهبت لاشعال النار من اجل شواء الدجاج الذي احضرته للغذاء وانا اشعل النار سمعت صوتا ملحا قادما من نهر التارن، كان الصوت يقترب ويناديني باسمي الخاص.

ـ تعالي لتنامي في النهر كما فعلت لور

لور نامت في قعر النهر منذ سنة، كنت اخر من التقاها من نزلاء مستشفي النهار

لور تحررت من كل شيء، لاشك انتهت هواجسها هناك، في العالم الاخر لاوجود للخوف

تبعت الصوت، نزلت المنحدر المترب ، ازلت حذاءي الرياضي وملات جيوبي احجارا، هكذا ينزل جسدي بسرعة الى عالم السكينة، لحقت بي الصغيرة وانا ادخل النهر، التفتت اليها وقلت:

ـ انتبهي لنفسك بعدي حينها قالت ببساطة

ـ ماما بي رغبة في الغواط، اين افعلها؟

الغواط ؟ لم افكر في الامر، لا اعرف مكان المراحيض هنا افعليها وراء الشجرة هناك

اقتربت منها، شممت رائحة غائطها وانفجرت بداخلي ذكريات الواحة حين تبتل الارض بالمطر الاول فتنضح الارض برائحة هي مزيج من غواط الاهالي ورائحة التراب المشتاق للماء

اخذت ورقة شجر ملساء ومسحت عجيزة الصغيرة وافرغت جيوبي من الاحجار وفكرت

ـ مبارك خراء ابنتي، لم اعد اسمع غير صوتها، تواري الصوت القادم من النهر حيث الباب الخفي للموت.

عدنا الى مكاننا في المنتزه وبدل ان ارتاح قلت ـ

ـ لنذهب في جولة

قرب البحيرة سقط صحن طائر على راسي فالتجات لسيدة كانت مع كلبها وطلبت الاسعاف

حين حضروا طلبت نقلي الى مستشفي الامراض العقلية، في غرفة بالمستعجلات لعبت الغميضة مع فيروز، اختبات تحت السرير وفي الدولاب وفي كل مرة كانت تجدني، حضرت شرطة القاصرين بعد ساعة وحملوها الى وجهة لاعرفها ولم ارها منذ تلك اللحظة حتي الان،

في طابور الادوية كان التوجس يخنقني لكنني اطمانئنت فمعي اشخاص لاشك تنزل عليهم صحون طائرة مثلي من وقت لاخر.

أخذت كأس ماء اضافي بعد الدواء وافسحت الطريق لكاتي.

انصرفت للحديقة لاحقة بحليم وانا انظر لطابور المرضى اصدقائي يقودهم خيط سري نحو قدر غريب، نحو خروج اخير من دائرة المجتمع والاخرين والدخول في قدر نحن فيه فقط عربات لحم يجرها خوف قديم.

الزنزانة رقم 3

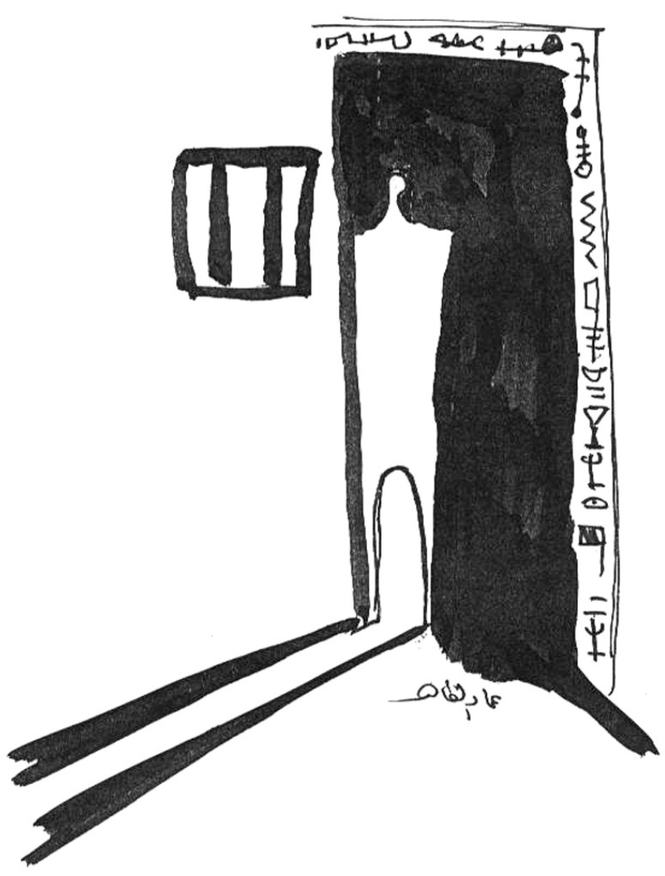

البتول المحجوب

قاصة من المغرب

الباب حديدي، الرقم ثلاثة. المكان زنزانة موحشة باردة، تنبعث منها رائحة الموت، الخوف والغياب المفاجئ...!! كنا هنا، نتعفن كعلب سردين نتن. وكان ينزوي هناك في ذاك الركن موليا وجهه للجدران! كلما ضاقت به أمتار الزنزانة، أشار أحد رفاق دربه قائلا: تقدمت حيث أشار رفيقك بخطوات غير ثابتة.. صوب ركن الزنزانة الضيقة. جلست في المكان ذاته. تتحسس الجدران بأصابع مرتعشة. اقتربت أكثر، بحثا عنك، عن رائحتك، وعن أثرك هناك.

شعرت بصقيع الزنزانة، حين بدأت ذاكرتها تضج بالسؤال عنك وعن ليالي الشتاء الباردة، كيف كانت وكيف كنت..؟ وعن ليالي الصيف الحارقة، الخانقة في هذه الزنزانة الضيقة جدا، وعن سوط جلاد لا يرحم.. وعن.. وعن.. كلما لمست جدران الزنزانة بأناملها المرتعشة.. تشعر أنك هنا، قريب منها، تربت على كتفها، تمسح بدفء كفك دمعة منسكبة على خذها الشاحب. وترد على أسئلتها الحارقة المعلقة لسنوات طوال. تصيخ السمع، فيتردد صدى صوتك الدافئ، في هذا الفضاء الضيق، رغم برودة المكان.. هامسا لها:

ـ صغيرتي أما آن لك أن تكبري.. أما آن لك أن تبتسمي..؟

كيف تبتسم..؟ وكيف تكبر..؟ والطفلة الصغيرة مازالت تحن لدفء حضنك. الطفلة الصغيرة تأبى أن تكبر في انتظار أن تعود يوما ما وتحكي لها الحكاية..

التفت بحثا عنك هنا وهناك. لكنها لم تجد غير الوحدة والوحشة الباردة، في هذا المكان البعيد عن دفء الأحبة. أحبة أرغمت على تركهم ذاك الفجر الضبابي القسمات. أحبة دونهم "بيداء دونها بيد". انتشلها أحد رفاقك بكلماته مشجعا عندما شعر ببحر صمت مخيف يطوق أنفاسها.

ـ لك الأمل عزيزتي، لك الغد والفرح الجميل، لك الفخر به أيضا..

كلماته ممزوجة بوجع الغياب، وبمرارة من مروا هنا.. لا شيء، لا شيء غير جدران صماء، باردة وصوت حارس كريه يسمعك ألفاظا قذرة، وأنت الذي سمعت أذناك أعذب الكلمات.. أنقى الألفاظ. تغمض عينيها علك تتراؤى لها في زاوية من زوايا زنزانة، تناثرت سنين عمرك الهاربة بين حيطانها المستوحشة.. وتناثرت سنين عمر صغيرتك على أرصفة الانتظار..

في ذاك الركن كان ينام

المقامر

حسن البقالي
قاص من المغرب

أنا: ولدت كي أكون مقامرا.. دمي أزرق وعيناي لا تخشيان النور..تهت طويلا بين رياح الفقد والمغانم المنتظرة، والآن..علي أن أتوجه نحو الهاوية بعينين مفتوحتين.

– هيا أيها الخاملان أفيقا.

صاح بابنيه لإيقاظهما، فيما هما يدمدمان بأنصاف كلمات نازحة من مناطق للظل ورفيف أجنحة هائمة في أحياز الملكوت، ثم..فركا أعينهما وهبا واقفين خرجوا.

عبروا أزقة وشوارع مغمورة بضباب ندي..أزقة متعرجة ومتشابهة، وشوارع دون اسم..عبروها دون أن ينظروا إلى الخلف، وحيدين وصامتين وعصيين على الإنكشاف، كما لو كانوا مجرد انعكاسات لأجسادهم التي بقيت هناك تتقلب بين أصابع الحلم.. ماضين بهمة باتجاه السقف..سقف المدينة، حيث الحافة التي تقبع هناك منذ مئات السنين لرصد توجعات الريح وبوح العناصر. بدت هائلة وخرافية.. كأنما هي الحافة الأولى التي رعى هابيل فوقها قطعان الضأن، قبل أن تنسل فلول البشرية من خلل رشحاتها، سلالة إثر الأخرى ,وبعدها..يمتد الخلاء الشاسع متطاولا باتجاه الشرق، حيث تتحد آخر زهرة برية بتعريشة متخيلة في سماء مغموسة في حبر العتمات.

نزلوا عبر المنحدر مسلكا وعرا ومفروشا بالأحجار التي ما إن تلامسها الأقدام حتى تتهاوى في حركة متهورة وصاخبة باتجاه القعر. ولو أن الأب استدار في لحظة مباغتة وتفرس في ابنيه، للمح تلك الهالة من الفزع التي مطت حدقاتهما وشدت الأنفاس الى سؤال الكينونة الأول.

لماذا يتوجب على الأبناء أن يثقوا في آبائهم؟

لماذا لم يرتابا في شئ ,حين أيقظهما في ذلك الغبش المورد بالعتمات وقال: اتبعاني، فتبعاه طائعين مطمئنين؟..حين قال لهما: ودعا أمكما وأشياءكما الصغيرة، فاكتفيا ببحلقة متسائلة وخاطفة، ثم أومآ له بأنهما مستعدان؟

"لقد ضغط الزر ,ولا شئ بإمكانه أن يوقف الهول الآتي".

كانوا قد بلغوا السفح.. وطأوا الأرض المستوية، وشرعت خيوط النور تتدلى من البكرات اللامرئية المبثوثة في الفضاء، فأحس الإبنان ببعض الارتياح، وجعلا يتحركان بخفة ملحوظة مثل جديين أرعنين تاها عن القطيع، ثم ارتكنا إلى النسيان.

أراضي شاسعة، وهواء محمل بروائح النباتات البرية.. نظرات ملتبسة وفجر في طور الولادة.

توقف فوق بقعة غير مزروعة، دقها بقدمه، ثم انحنى وأخذ حفنة تراب: "هذه الأرض رخوة ومطواعة مثل جدائل الحرير، هذه الأرض مناسبة." استل من خرج آنية بلاستيكية محكمة الإغلاق وصحنا وقنينة صغيرة وكاغدا ملموما ومنديلا.. حط الكل على بساط الزعفران، وحدق في الأفق المختلج بأفكار شريرة.

"كان علي أن آتي بهما إلى هنا كي أقطع آخر شعرة تصلني بالأشياء والناس، وتدنو حياتي من نقطة الإكتمال".

عاش حياة مترعة بالترقب، عرف إشراقات حظ نادرة وعانى إفلاسات دون حد.. لكنه ظل في أحلك الظروف يبتسم ابتساماته الملغزة، ويقول: "من ولد مثلي بدم أزرق لا يخشى الأنيميا"، ثم ينصرف بخطوات ثابتة. والآن..

الآن، عليه أن يكابد التوجه نحو الهاوية بعينين مفتوحتين.

فتح آنية البلاستيك، وصب البيصارة في الصحن.. سكب عليها زيت الزيتون من القنينة الصغيرة، وذرى فوقها بعض الكامون والفلفل الحار..أخرج من المنديل خبزا، ودعاهما إلى الأكل، ثم انتحى جانبا، واستل من الظلال رفشا وفأسا.هوى بالضربة الأولى فأحدث شرخا عميقا في التربة الرخوة، سمع غرغرة مكتومة في الأحشاء الدافئة، وجهة الشرق تفتقت السماء عن صفرة داكنة تمهيدا لبزوغ الشمس، وغير بعيد، اصطفقت أجنحة لطيور الصباح.

الطفلان راكعان فوق الصحن.

ضربات الفأس تزداد احتدادا والحفرة تزداد عمقا.

تجشآ وحمدا الله.

– هل شبعتما؟

سأل دون أن ينظر اتجاههما أو ينتظر الرد.

– والآن، ستريانني شطارتكما: أخرجا كراتكما الزجاجية والعبا أمامي، لكن انتبها، العبا بأقصى ما يمكن من التركيز، وليلعب كل منكما من أجل الفوز كما لو أن حياته تتوقف على ذلك.

"لا شئ يمكن أن يوقف الهول الآتي".

شبكة من الأعصاب.

شبكة هائلة من الأعصاب الموتورة، وغليان على تخوم الإنفجار..العالم لاشئ خارج اللعبة، حدي الربح والخسارة .. شبكة من الأعصاب المحترقة..صمت مترقب، متخم بعواء الغابات..ثم تعلم أن يكون أكثر هدوءا وحيادية، أن يعشق اللعبة لذاتها، كرهان محض مجرد عن أي اعتبار آخر، لأن المقامر الحق "لا ينطلق من مبدإ أنه قد يخسر كل شئ" بل من مبدإ أنه لا يملك أي شئ." وفي هذه الحالة ما الذي سيخسره؟ البيت، المتاع، الزوجة؟؟

قامر بها ذات يوم.

يوم بارد بشكل استثنائي.. امتلأت فيه القاعة بالكنزات الصوفية والقبعات، وقفازات عديدة بدت له كلما خسر رهانا مثل قفازات ملاكمين يتحرشون بالضربة القاضية. ثم بدا أنه خسر كل شئ..بدا ذلك من نظرات الخصوم، من الإشارات المنتشية وطرقعات الأصابع.

– لقد انتهيت

صاحوا بلهجة ظافرة.. ترقبوا أن يخلي المقعد، وينسحب في انكسار.. لكنهم لا يعرفونه جيدا: دمه الأزرق الفضي ولياليه المسهدة، حيث استنطق الأبراج ومرايا الكون، وطوح بنداءات النفس إلى الصحاري البعيدة.

ما يزال لدي ما أقامر به: زوجتي.

وشرعا يلعبان، بعد أن اتفقا على قواعد اللعب وعدد الأدوار.. تدحرجت الكرات الزجاجية على الأرض.. تحاورت الأصابع واحتقنت الأوردة: "العبا بأقصى ما يمكن من التركيز، كما لو أن حياتكما تتوقف على ذلك"..تصادما وتناطحا، وحدج أحدهما الآخر في حقد.

قال: زوجتي.

وسمعها تقول له: ستقامر بنا في يوم من الأيام.

غمغم: أبشري فقد تحققت نبوءتك ,وربما أصبحت بعد لحظة سبية لأحد هؤلاء.. مسحهم بنظرات فارغة وفكر في البرد "ستكون الجبال مثقلة بالثلج" ثم ركز بصره على القفازات ولم يفكر في شئ.

كان الوقت ليلا حين عاد غالى البيت .. أحس بانجذاب مفاجئ الى المرأة التي تنتظره هناك ..رأى الآخر يشدها بوثاق ويسحبها وراءه، رآه يطوح بها فوق سرير ما، ينتر ملابسها ويعتلي الجسد، يعركه يعجنه يدخله، الجسد الذي فاز به في يوم شديد البرودة.. حضنها بنظرة حانية ومقت نفسه.." كدت أفقدك، لكن الحظ شاء العكس" رنا اليها في ود، ثم...

– هل العشاء جاهز؟

كي يغلف اللحظة بالزجاج وينكر انشداده.

ظل يحملق في الفراغ.. رأى مرايا عديدة، ونتفا لأوجه مجهولة، دخل دروبا ومتاهات، وأزمنة متداخلة وملتبسة، بحثا عن صورته المثلى: المقامر الذي لا يضاهى، الذي لا يملك شيئا ولا يتعلق بأحد.

نحى الإبن الفائز جانبا، وشد الخاسر من كتفه:

– انظر حواليك جيدا، إلى شقشقة الصبح والأزهار المغسولة بالندى، التحليقات الأولى لطيور مترعة بالدهشة،الشمس الصقيلة وكتاب السماء.. انظر إلى كل هذه الأشياء واستبطنها بعمق: لقد خسرتها بخسرانك الدور.

فلماذا يثق الأبناء في آبائهم؟

لماذا لم تثر في داخله الرياح العاتية، رياح الشك والعصيان، ويستحيل إلى قط متنمر بمخالب لا ترحم؟ اكتفى ببحلقة بلهاء متسائلة, وتبعه طائعا الى الحفرة المعدة لاحتضانه..فقط حين طفق يهيل عليه التراب، أدرك ما يحصل له(بشكل ملتبس) فارتاع.

– ماذا تفعل بي يا أبي؟

وعوى.

"لكن من يوقف الهول الذي حل؟"

معطف مختلف

بوشعيب عطران
قاص من المغرب

انتقلت من مرحلة الابتدائي إلى مرحلة الإعدادي، أشياء كثيرة تغيَّرَت بداخلي، امتدَّت إلى ملبسي.

كنَّا على أبواب الشتاء؛ أسوةً بزملائي طالبتُ أبي بشراء معطف لي، كعادته قابلني بالرَّفض؛ لأستعين بأمِّي بعد عدَّة جولات رضخ مرغمًا لأمري.

عصر عطلته الأسبوعيَّة، صحبني إلى السُّوق حيث المحلاَّت التجارية، بعد لفٍّ ودوران، وجدتُ ضالَّتي؛ معطفًا بُنيًّا ذا أزرار ذهبيَّة، أشرتُ إلى أبي:

– هذا ما أبتغي.

دلفنا إلى داخل المحل؛ سارع صاحبه بجلبه إلينا، لمستُه، كان ناعمًا، ارتديتُه، تمامًا في مقاسي، إلاَّ أن أبي أبدى امتعاضًا، قال:

– إنه طويل بعض الشيء.

أجابه التاجر مفتعلاً الضحك:

– سيكبر فيه.

ثم بدأ يسرد محاسِنَه بشيءٍ من الإغراء، دون أن يأبه بسؤال أبي المتكرِّر عن ثمنه:

–إنه معطف مختلف، انظر أزراره، مثبَّتةٌ جيدًا، له واجهتان بلونين مختلفين؛ بنِّي ورمادي، كأنك ستشتري معطفين بدل واحد.

راقتني هذه الميزة كثيرًا؛ معطف بواجهتين، وبِلَونين مختلفين، حقًّا مذهل، سأكون به مختلفًا عن بقية زملائي.

نطق التاجر أخيرًا بالثمن، صاح أبي:

– إنه جدٌّ غالٍ.

بدأت المساومة، انزويتُ في ركن المحل، أرقب هذا المشهد الذي كان يتكرَّر كثيرًا مع أبي عند ابتياعه لشيءٍ ما، غالبًا ما ينتهي بالشِّجار، وكذلك كان.

خرجنا من المحل، وصياح أبي يتعالى في الشارع؛ لنغادر السوق دون معطف، إلاَّ بغضب أبي الذي تَرْسم انفعالاتُه وحشًا أخشاه كثيرًا؛ لألوذ بالصَّمت وغُصَّة اليأس تتحوَّل إلى دموعٍ حبيسة..

شيئًا فشيئًا عاد الهدوء إليه، قبض على يديَّ بقوة، وهو يحدثني بصوت منخفض:

–لا تحزن يا بني، المرَّة القادمة سأشتري لك أفضل منه!

لم تأتِ هذه المرة قطُّ، لأكتفي ذلك الشتاء بكنزة صوف اشترَتْها أمي من سوقٍ للأثواب المستعملة.

بقي ذلك المعطف عالقًا بذهني، أوَّل راتب اشتريتُ به معطفًا، حيث دأبتُ على شراء ثلاثة إلى أربعة في السَّنة، حتَّى امتلأَتْ خزانتي بمعاطف كثيرة بألوانٍ وأنواع مختلفة.

توطَّدَت علاقتي بصاحب محلٍّ راقٍ، كنت أحدِّد له اللَّون والشكل؛ ليأتني بما أشاء دون تردُّد، ما دمت زبونًا وفيًّا لا أجادِلُه مهما كان الثمن.

كالعادة أبلغتُه بمُرادي، مرَّ أسبوع لأجد بدل ما طلبتُه معطفًا أسود، نظرت إليه مستغربًا:

– ليس هذا ما أريد؛ ولَم أرتَد قطُّ هذا اللون.

ردَّ بسرعة وابتسامة إغراءٍ تَحتلُّ قسماته:

– أعرف، لكنها (الموضة) ياً سيدي.

مما شجعني على الكلام، لأبثَّه ما يدور بخلدي منذ زمان:

– ألا أجد عندك معطفًا بواجهتين؟

نظر إلَيَّ وعلامةُ الاستفهام تبدو على مُحيَّاه:

– لم أفهم قصدك؟

بدأتُ أشرح له:

– معطف بواجهتين؛ أيْ: بِلَونين مختلفين و..

قاطعَني بضحكة طويلة شاركتُه بقهقهة مصطنَعة؛ لأُخفي ارتباكي:

– معطف بلونين مختلفين! كان هذا قديمًا؛ لما كانت المعاطف جد قليلة، ومَن يلبسها قلَّة، أما اليوم فقد أصبح الكلُّ يرتديها، وموجودة بأنواعٍ وألوان مختلفة.

لف التاجر المعطف الأسود، أدَّيتُ ثمنه، غادرتُ المحل بسرعة، وضحكة غريبة منه تُشيِّعني بالخارج، والمعطف ذو الواجهتين يأبى أن يُغادر خيالي..